

هنود شارع جوك فيريا

تأليف

فرانسواز سوتيرو



ترجمة

وفاء شوكت



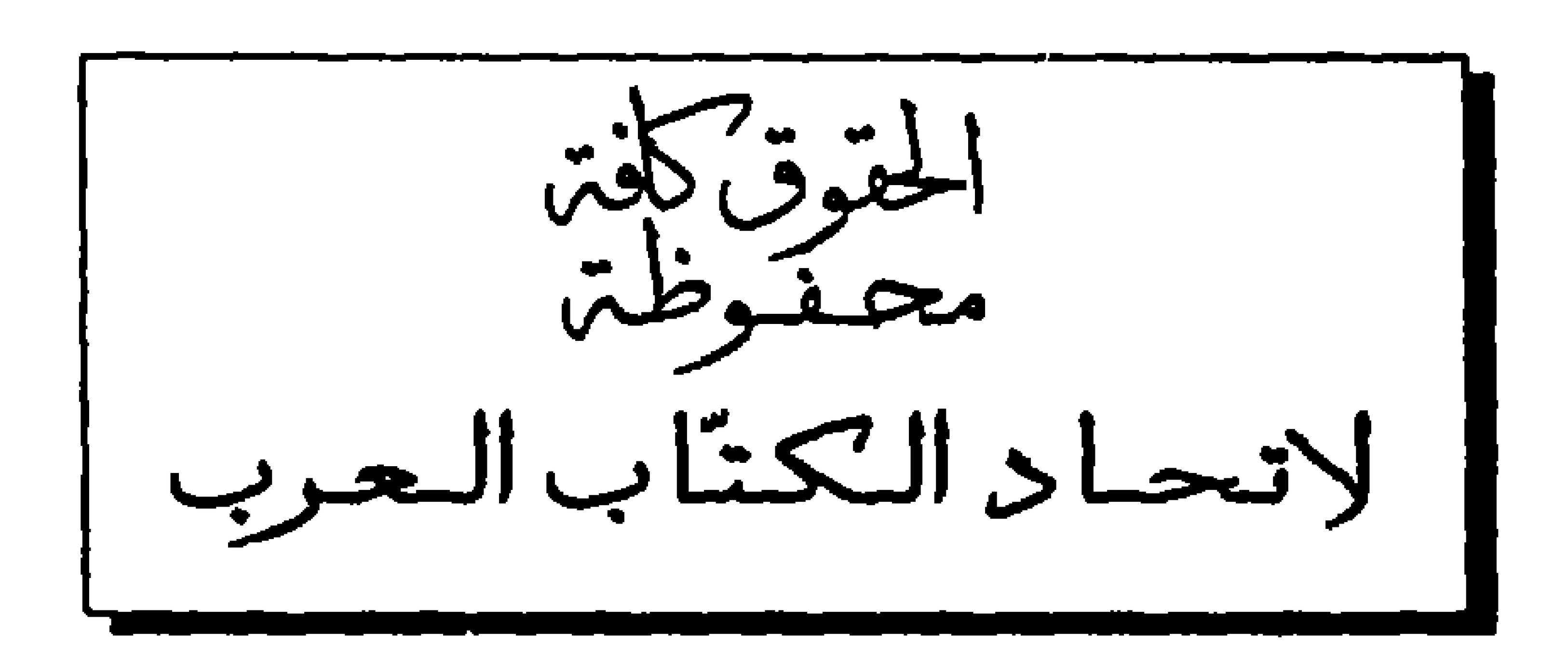
رواية للفتيان

رواية للفتيان

تأليف: فرنسواز سوتيرو

هنود
شارع جول فيري

ترجمة: وفاء شوكت



البريد الالكتروني: E-mail : unecriv@net.sy

الانترنيت : Internet : : aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت:

www.awu-dam.com

تصميم الغلاف للفنان : اسماعيل نصرة

□□

تأليف : فرنسواز سوتيرو
ترجمة : وفاء شوكت

هنود شارع جول فيري

- رواية للفتيان -

من منشورات اتحاد الكتاب العرب
١٩٩٩

LES INDIENS DE LA RUE JULES FERRY.

ED. De L'Amitiè- G.T. Rageot- *Paris*.

هُنودُ شارعِ « جول فيري »..

كانوا خمسة أطفال: صبيان وبنات، يلتقون بعد الدراسة، ليلعبوا معاً لعبة "الهنود الحمر"، وليحلموا بمغامرات خارقة.

في أحد الأيام، وبمعجزة غير منتظرة، تتحقق أمنياتهم:

– "التمساح الشُجاع" تصبح لديه القدرة على التحوّل، بلمح البصر؛ إلى شخص راشد.

– "كوكا كولا" يمتلك حافظة نقود تصنع قطعاً نقدية حسب الطلب.

– "فأرة السم" تحصل على مرآة تخفيها عن الأنظار.

– "الزئبق" يحرك جميع الأشخاص والأشياء التي ينظر إليها بمنظاره المقرّب.

– "الريشة السريعة"، ترافقها وتحميها يمامة بيضاء.

فيسود المرح والغبطة في شارع "جول فيري"! لكنهم، وباستخدامهم قدراتهم الخارقة تلك، دون إدراك، ألا يحثون الخطا نحو الكارثة؟!!

الخيّالة

رفعت "الريشة السريعة"، أنفها، لتشمّ ماحولها، كان الهواء يدور واستنشقت شيئاً في الجو أشبه برائحة الخيانة لقد بقيت وحدها في المخيم الذي جرى إخلاؤه منذ العصر، حيث أُرسل الأطفال والشيوخ إلى الجبال؛ بينما كان المحاربون يراقبون من بعيد، أو يصطادون.

انحنت، ووضعت أذنها على الأرض التي كانت ترتج تحتها: إنه صوت جري جماعة كبيرة تقترب، لا شك في ذلك. كان لابد من إعطاء إشارة الإنذار!!

لذا، تخلّت عن قدر تطهو فيه السبانخ... وصعدت مسرعة إلى أقرب تلة، وصفرت بأصابعها. سمع المحاربون الثلاثة والمراقب إشارتها، وعادوا بأقصى سرعة.

-إنه – الرتل الخامس من الخيالة!! صاحت "الريشة السريعة" مشيرة إلى الأفق، وهي تقفز فوق جوادها الرمادي مثل المرأة المحاربة[1].

قال الرئيس: "وهو يمر قربها"

– السلحفاة المهذارة هي التي وشت بنا!

صاح "الزئبق":

– أسرعوا!! من هنا!

وترك أفراد "قبيلة الخمسة" الأرض العراء، ودخلوا منطقة "الغابات الباردة" على جيادهم السريعة التي كانت تثب وثباً عالياً. ووصلوا إلى "الفجوة الرائعة" التي كانت تحيط بها من جهة الشمال قمة "البرج ف" ومن جهة الجنوب "التلال

---

(١) لا أعتمد في ترجمة الأمازون الدلالة القاموسية، لأن الأمازون حسب الأساطير اليونانية، هي المرأة المحاربة، يوجد في متحف ألمانيا لوحة موزاييكك (رائعة تمثّل النساء المحاربات: الأمازونات (المراجع).

الحمراء" للمجمَّع المدرسي "كورنتين-كلابيون".

ومن الجهة المقابلة، كان "سلاح الفرسان" العائلي قد وصل بانتظام إلى "الوادي المنخفض" الواقع في منتصف الطريق المؤدية إلى قصر "الطاحونة الحمراء"، وانتشر أفراده على ساحة المعركة!

استطاع "أفراد" القبيلة، من مواقعهم، سماع كبار السن وهم يصيحون بأصوات عالية كقرع الطبول:

- أهذا هووقت العودة إلى المنزل؟!
- كم مرة يجب أن ننادي عليكم؟
- ألا ترون أن الليّل بدأ يخيّم؟!
- وماذا عن واجباتكم المدرسية؟
- وعن الدروس؟..

كان الهنود هم الأسرع، لأنهم كانوا يعرفون المنطقة بتفاصيلها الدقيقة، عن ظهر قلب؛ ذلك أنّهم، ومنذ أجيال عديدة، كانوا قد استكشفوا هذه المنطقة: الوديان والجبال والأبراج والأدراج والصخور والأشجار والجداول، كما كانوا يعرفون كل أسرارها. وكانوا كذلك قد درسوا جميع المخارج الممكنة، وأما أفراد مستعمرة "سرية" البالغين، ورغم أنهم مدججّون بالسلاح، فلم يتجاسروا على سلوك طرق أخرى غير الطرق الآمنة، والمحروسة جيداً، والتي تقود إلى "المركز التجاري" أوإلى الجبال التي تتحكّم بما حولها.

وبعد أن ضلّل الهنود مُطارديهم، اجتمع الخمسة، في موقع صغير يطل على المنطقة الصناعية الواسعة، وراحوا يتدبّرون أمورهم...

قالت "الريشة السريعة":

- لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر!. احمرت الوجوه الشاحبة غضباً؛ لقد رأيتها جيداً، وسوف ينتهي بها الأمر إلى القضاء على "القبيلة" بأكملها.

قال "الزنبق": إنهم لا يتركوننا بسلام ولو خمس دقائق! وعما قريب، وإذا بقي الوضع على حاله، فلن يسمحوا لنا حتى بالخروج للّعب.

قال التمساح الشجاع، وهو رئيس القبيلة:

– سوف يعملون على تفريقنا. لقد نصحتني والدتي بالامتناع عن التحدث إليكم. ولن يمر وقت طويل حتى تمنعني عن ذلك نهائياً! تقول إنكم ستكونون "أشقياء المستقبل"، لكنني أعلم أن كل واحد من عجائزنا يظن الشيء نفسه بأولاد الآخرين. إن أمي قد اتفقت على ذلك مع السيدة "بلوشون" وأخريات.....

وعند ذكر اسم السيدة "بلوشون" خيم صمت مأساوي على المكان. قال "كوكا كولا":.... وقريباً جداً ستظهر نتائج امتحانات هذا الفصل.

وعاد الصمت المأساوي يخيم عليهم من جديد...وبدأ الليل يُرخي سدوله على السهل:

قال الزعيم:... يجب ألا نفقد معنوياتنا العالية. غداً الأربعاء سنلتقي هنا الساعة الثالثة بعد الظهر...هل أنتم موافقون؟!

قال الزئبق: –كلا؛ عندي مباراة بكرة القدم.

– سوف يحلّ لاعب آخر محلك.

–لا..لأنني أنا الذي سيحل محل لاعب آخر. وكما تعلمون ينقصنا لاعبون في هذه الفترة. إن أحسن لاعبينا قد ذهبوا إلى الصف الأخضر.. (الفريق الخصم).

قال "كوكا كولا":– لهذا إذاً، يرسلون في طلب "لاعبين فاشلين"، مثلك.

– شكراً للإطراء، على كلٍّ، فإنهم يسعدون جداً بوجودي معهم.

– حسن، وغداً صباحاً، الساعة العاشرة؟

قالت "الريشة السريعة": عندي درس على البيانو. انتفض الرئيس بعنف.وقد تملّكه الغضب:

– هكذا إذن! مادام الأمر على هذا النحو فليس من داعٍ لتشكيل جماعة أو أي شيء آخر، وإذا كان للواحد منكم أعماله الخاصة التي يتمسّك بها كل هذا التمسُّك، فليبق على مثال أسلافه! وأنا، في هذه الحالة، أترك كل شيء!

– لا تغضب....

قاطعتهم "فأرة السم": – ..اسمعوا... يجب علي أن أعود إلى المنزل، وإلا ربطوني إلى عمود التعذيب...

– حسناً... قررّ الرئيس العودة إلى المكان. غداً الساعة الخامسة. ثم تحدّث

التمساح الشجاع.

لـم يعـترض أحـد، وتبـادلوا التحيـة السـرّية، ثـم رحلـوا عـن المخيـم عنـد الغسَق... وكل منهم يحمل محفظته على ظهره.

مرة أخرى، كـان المصعد معطـلاً! وصعدت "الريشـة السـريعة"، الطوابـق الأحد عشر مهرولةً. وعندما أدركت منزلها صار يمكن تسميتها "الريشة الذابلـة"، ثم الريشة الساقطة على الأرض،بعدمـا تلقّت صفعتيـن مـن والدتهـا التـي كـانت تنتظرها خلف الباب، قالت وهـي تنهض وتتنهد ثـم تمسح أنفهـا بطـرف كمهـا، صفعة أكثر أو صفعة أقل لم يعد يهمني!"...

لـم تكـن مـائدة الطعـام قد نُظّفت بعد، والغرفـة تعبق برائحـة المـأكولات المتنوعة؛ كان أهلها قد انتهوا من تناول طعامهم، وكان والدها جالساً أمـام شاشـة التلفاز يتابع فيلماً أميركياً.

صـاحت أمهـا وهـي تذهـب إلـى المطبـخ مسـرورة بصفعهـا: وقـالت: هـل تعتقدين أن الأمر انتهى عند هذا الحد؟!

وبدأت "الريشة السريعة" تنظف المـائدة، محدثـة ضجـة كبيرة وهـي تمسـح الصحون من الصلصة وتفرغها في الصحن الكبير، حتى تُري الجميع أنها كـانت تعمل. وفيما كان أخوها الكبير في الممر، قال ساخراً:

– مابك أيّتها "الريشة الضائعة" في مهب الريح؟!!

أجابت وهي تمدّ له لسانها:

– اسكت، أيّها الأحمق العجوز!

– أوه! أدخلـي لسـانك، ولا تخرجيه ثانيـة. لقد احتفظـت لـك بقطعـة مـن الحلوى!

صاحت الفتاة الصغيرة وهي تتبع أخاها إلى غرفته:

– صحيح!...أنت لطيف جداً!

وكانت قطعة لذيذة من "فطيرة الدُرَّاق" الشهي كنتِ علـى وشـك أن تمسـكي عن الطعام. لكـن لحسـن الحظ، يوجـد احتفـال بـالعيد. هـذه الأمسـية –ولا أدري أيـن– يتخللـه الرقـص وأمـور أخـرى. وقـد ذهبتْ إلـى ذلـك الاحتفـال أخواتنـا

العزيزات، وهنّ متنكرات جيداً . لولا ذلك لكان عليهن. ياصغيرتي ذات الثياب العتيقة، توسيع لجنة الاستقبال للاحتفاء بقدومك، ويجب أن تعترفي بأمرٍ، أنك تعودين متأخرة قليلاً بالنسبة ليوم دراسي.

– أوه، وماذا في ذلك؟ عمري الآن عشر سنوات!

– شيء جميل، لكن هذا لا يعطيك الحق في العودة إلى المنزل عند منتصف الليل!

وبعد أن انتهت من تناول الحلوى، قبّلت أخاها.

***

سار "كوكا كولا" وهوطفل أسمر، قصير ونحيف، – بمحاذاة أحواض "اللبلاب"، ثم دار نحو أزهار الدالية، أول باب للبناء الموجود هناك.

صعد طابقين، وتناول المفتاح المعلق حول رقبته، وفتح الباب على الناحية اليسرى من صحن الدرج. لم يكن عمه موجوداً في البيت.

ووجد على طاولة المطبخ علبة من "الرافيولي"[٢] فتحها، وسكب محتوياتها في قدر صغير، ثم أعدّ الطاولة، وفتح التلفاز ليشاهد الفيلم... وأجل مراجعة دروسه إلى الغد (وغداً سوف يراجع دروسه). وبما أن عمه لا يعود إلا متأخراً جداً فقد أخلد "كوكا كولا" للنوم بعد أن انتظره طويلاً، وشرب زجاجة الكوكا كولا.

***

حين عاد القائد "التمساح الشجاع" إلى المنزل، كانت عائلته، بكامل أعضائها، مضافاً إليها أبناء العمومة الساكنين في الطابق السادس، يتابعون الفيلم الأميركي، في غرفة الجلوس التي تحولت إلىقاعة عرض لهذه المناسبة.

خلع حذاءه بحذر شديد، عند المدخل، وسار على رؤوس أصابع قدميه، حتى وصل المطبخ، والتهم مابقي من طعام في الأطباق. كان الطعام بارداً ودبقاً، ولم يكن هناك مايدل على أن دومينو الكلب الابيض والأسود، لم يسبقه إلى شيء من تلك الأطباق، لكنه أفضل من البقاء صائماً، غير أنّه من جهة أخرى، تناول

---

[١] الرافيولي: نوع من المعجنات المحشوة باللحم.

قطعة كبيرة من الحلوى، وتسلل بعد ذلك، بخفة، إلى غرفته التي يشاركه إياها اثنان من أصغر أخوته وصعد إلى السرير العلوي وغرق في قراءة قصة مصورة.

كان والدا "الزئبق" ينتظرانه على باب البناية "ب"، وقد شمرا عن سواعدهما، وعلى جانبي درجات المدخل القليلة، وقف الجيران في صفين كحرس الشرف. وهم يتحدثون حول التربية الحديثة. حارس البناية أعطى الإشارة، وما إن لمحوا شعر "الزئبق" الأشقر على منحنى الطريق وهو يلمع كخوذة على رأسه، حتى ارتفعت أصواتهم، واختلطت عبارات التهديد والصراخ، والوعيد، بعضها ببعض. وكاد الأبوان يفقدان برودة أعصابهما. والابن أذنه اليسرى...

وحُرِمَ "الزئبق" من كرة القدم.

***

من "قبيلة الخمسة"، "فأرة السم" وحدها، هي التي شعرت بالخوف الحقيقي؛ كان الظلام دامساً، وكانت تسكن في منطقة بعيدة عن المدينة، وفجأة، أخذت تركض، وخصل شعرها الكستنائي المربوطة تطير في الهواء. كان هذا هو وقت تجمع سائقي الدراجات تحت المرآة العاكسة الحزينة. وكانت بعض العرائش تتدلى من هنا وهناك. فشعرت بأنها مراقبة، ولم تكن تحب ذلك على الإطلاق.

ولحسن الحظ، جاءت أمها لملاقاتها، وكان صوتها يرتجف قلقاً، نادت الأم عليها:

- "جيرالدين"! ألا تدركين مدى القلق الذي تسببت به لي ولوالدك..؟

حين دخلتا إلى المنزل، كان أخوها الرضيع يبكي في سريره، نظرت إليه "جيرالدين" نظرة مبهمة، وجلست إلى الطاولة.

لم يقل والدها شيئاً؛ وكان قد انتهى من تناول عشائه، وهو جالس الآن، على كرسيه، يراجع ملفات رسمية هامة، وقد بدا شكله غريباً جداً، حتى أن "جيرالدين" -"فارة السم" تساءلت ما إذا كان قد قلق فعلاً عليها أو أحسّ بغيابها.

وقررت ألا تعود ثانية إلى أفراد القبيلة. إذا ما أجبروها مرة أخرى على العودة متأخرة إلى هذا الحد.

القسم الأعظم

في اليوم التالي، اجتمع أفراد "القبيلة" كلهم، وهم خمسة أشخاص حقيقيين، وقرابة ألفين وهميين. وبينما كان "الرجال" الوهميون يسرجون الخيوانات الخيالية، وكانت النساء المزعومات يعتنين بالأطفال غير المرئيين، كان الزعماء الحقيقيون الخمسة يعقدون اجتماعاً برئاسة "التمساح الشجاع". كان الجميع قد لاحظوا دون أن يتجرأ أحد على التفوّه بكلمة واحدة، أن الزعيم الكبير قد حلق شعره كله.

كانت "الريشة السريعة" قد استطاعت أن تطير من بيتها خلال فترة قصيرة انشغلت فيها أمها وأخواتها الكبيرات عنها.

وقد تمكن "الزنبق" الذي حرم من الاشتراك في مبارة كرة القدم، من الحصول على إذن باللعب أمام مدخل البناية بقوسه وسهامه، فاستغل الفرصة للهرب. وفرضت "فأرة السم" شروطها عن إعطائها الحق في الذهاب ساعة تشاء.

****

وهكذا، انتهى اجتماع "حكماء" هذه القبيلة الفريدة في نوعها، حيث كان للمرأة الحق في الإدلاء برأيها؛

قال "التمساح الشجاع" وهو شارد الفكر:

- سوف ننظم صفوفنا!

- فكرة حسنة!

- ولكن كيف؟!

- ولأي هدف؟!

وحدها "فأرة السم" التزمت الصمت.

كرَّر "التمساح الشجاع": علينا أن ننظم أنفسنا... لنحبط خطط العدو، ولنتغلب على فرقة الخيالة الخامسة. لقد اتهموني بالخيانة، وحلقوا لي شعري كله...وغداً، إذا تركنا هم على سجيتهم، فسوف يتجرّأون، ويسلخون فروة رأسي.

ارتعدت الفتيات خوفاً، عند سماع هذا، وكذلك "كوكا كولا" صاحب الشعر الجميل.

وأضاف قائلاً:

– لا تنسوا أنهم يحصلون على مساعدات جديدة. إن السيدة "بلوشون" قد أعارتهم مدفعيتها. الآن!

هتف الزئبق: – إن ما لا نستطيع تحقيقه بالقوة، يجب أن نحققه بالحيلة!

– ولتحقيق هدَفنا يجب أن تكون لدينا أفكار.

قالت "الريشة السريعة": – لدينا الأفكار. ليس هذا ماينقصنا..

– آه، نعم! إذاً، ما الذي ينقصنا؟!

– حسناً... نحن، وبطريقة ما، نمثل هنود العصر الحديث ونعيش بمعزل عن العالم، دون التمتع بأي حق من الحقوق؛ لنفعل، إذاً، مثل أجدادنا الهنود.

قال "كوكا كولا": أنسيت أنهم سوف يقضون على جميع خططنا. هم أيضاً يشاهدون التلفاز.

قال "الزئبق": وعدا ذلك، سوف يكون من الصعب جداً تنفيذ عمليات السلب والحرق، دون أن يمسكوا بنا.

قالت الريشة السريعة: حسناً جداً! وما الذي عنيته، إذاً، بالحيلة.

صرخ التمساح الشجاع فجأة وهو يعيد كرة رماها بعض الأطفال الذين كانوا يلعبون حولهم، وكانت قد أصابت وجهه: هؤلاء الصبية سيئون!

(كان هؤلاء الأطفال حقيقيين، ليسوا من القبيلة، وقد جاؤوا للَّعب في هذا المكان دون تصريح مسبق).

قال الزئبق:- إنّهم يستحقون آلاف الصفعات!

- يجب ألا ندعهم يخرجون سالمين.

- هذه الأرض المنبسطة ملك لنا! وكذلك تلة الصيد تلك!

- إذاً، هيا لنطردهم!

هبوا واقفين مرة واحدة، وبدأوا يزأرون بوجه الأطفال الذين فرّوا هاربين، وهم يبكون.

لم تتحرك "الريشة السريعة" من مكانها، ولم تحرك ساكناً، وعندما عاد أفراد القبيلة، وجلسوا في أماكنهم، قالت:

- هذا تصرف سيئ.

- صاح الزعيم:

- وماهو السيىء فيه؟

- لقد تصرفنا مثل "فرقة الخيالة الخامسة".

وخيم السكون، وتناهت إلى مسامعهم الأصوات الهادرة لشاحنات نقل النفط. التي لا ينقطع مرورها على الطريق الكبير لقلعة "جول فيري".

قال التمساح الشجاع خجلاً:

- أوه... لنكمل الاجتماع.

- إلى أين وصلنا؟!

- إلى السلب والحرق، حتى ولوكانت "الريشة السريعة" تعتقد أن هذا ليس تصرفاً جيداً.

- آه، نعم، عندها حق! علينا القيام بغير ذلك.

- الأمر كله... إنه لا توجد لدينا أيّة إمكانيات من أي نوع. إنهم الأقوى. قد ننجح في تحقيق بعض "الدعابات" هنا أو هناك، لكن الأمر سينتهي بفوزهم.

- دعابات؟ هذه فكرة شيقة.

قال "كوكا كولا": -هه! هذا ليس بالأمر الجديد.

- دعابات! لقد فعلتها كثيراً جداً مع عمي.

قال الزئبق: - وأنا، مع حارس البناية، أرتب أموري دائماً بحيث أسقي أزهار شرفتي، في الوقت الذي يجلس فيه تحتها ليستظل بها.

صاح التمساح الشجاع:

- نعم.. نعم! لكن هذه الدعابات تبقى دعابات منفردة! ألاعيب صغيرة ليست ذات قيمة! مثلاً، سرقة طباشير السيدة "بلوشون" إنها تستطيع الحصول على أية كمية، من المدير. لا أدري من أتته هذه الفكرة منذ يومين. لكنه أحمق. "الريشة السريعة" على حق إن ما أريد قوله هو: علينا أن نقوم بخدع حقيقية.

- نشترك نحن الخمسة في الخدعة! سيكون هذا ممتعاً!

سألت "فأرة السم": - من لديه فكرة للقيام بخدعة؟..

- حسناً... الجميع لديه أفكار لألاعيب جديدة..

قال التمساح الشجاع: - طبعاً! لكن ما أريده، هو أن تكون ألاعيبنا كبيـ...يـ..يرة! أريد خدعاً تشمل السكان جميعاً! وتتحدث عنها الصحف.

قالت "فأرة السم": -هاكم هذه الفكرة مثلاً؛ كم سيكون الأمر جيداً، لو كنا نملك القدرة على الاختفاء!

قال الزعيم: أنتِ.. ما الذي يدور في رأسك الصغير؟

- نعم، وماذا في ذلك؟ نستطيع بذلك أن ننفذ خدعتنا، ونختفي بهدوء، دون أن يرانا، أو يشعر بنا أحد!

- هذا بسيط للغاية! عبقريّ يّ يّ! بالمناسبة، هل لديكِ طريقة معينة للاختفاء والتواري عن الأنظار؟!

رفعت كتفيها علامة للنفي.

- لا، طبعاً! كنت أقول هذا على سبيل المزاح والضحك.

- إذاً هيا نضحك أيها الإخوان! لنضحك! ها، ها، ها...ها..

يكفي. لقد ضحـ..ك... نا كثيراً. يكفي.

قطّبت "فأرة السم" حاجبيها...

قال "التمساح الشجاع": - ولِمَ لا؟! في تلك اللحظة، لماذا لا نتحول إلى أشخاص راشدين؟ مثلاً: سوف أطيل شاربيّ وأسطو على البنك، ثم أعود طفلاً بعد ذلك مباشرة؛ وهكذا لن يراني ولن يمسك بي أحد.

وضحكوا كثيراً هذه المرّة، لأن تصور "الفكّ الكبير" وعليه شارب كان مضحكاً للغاية، خاصة عندما سيواجه السيدة "بلوشون". قال الزئبق: -سوف يكون ذلك رائعاً. وعندما يأتي "الكبار" لمواجهتك فسوف تتحول إلى مصارع حر، وتلفهم بطريقة آلية، وتنهال باللكمات على وجوههم، وتهزم كل اثنين معاً، بالضربة الواحدة... وهكذا تنتهي همومنا! وفي اللحظة ذاتها يمكننا تخيل أي شيء آخر؛ لو بدأت الإعلانات مثلاً، تتكلم؟!

- وتتحرك؟

- تتحرك! إنني أرى الأم "دينيز" وهي تغطس رأسها في غسالتها.

قال "كوكا كولا"- أما أنا. فلدي فكرة أخرى. ليس من الضروري أبداً السطو علىبنك؛ إن هذا عمل غير شريف ومحفوف بالأخطار.أود أن يكون لدي كنز لا ينفد أبداً، وكلما أخذنا منه النقود، عاد وامتلأ من جديد. وبواسطته سوف ندبر بعض "المقالب" أنا واثق من ذلك؛ لأن النقود تساعد على فعل أي شيء! سأدفع المال لعدد كبير من سيارات الأجرة كي تأتيَ وتغلق منافذ الحي في الصباح الباكر، وهكذا سيتأخر عمي عن الوصول إلى مقر عمله، ولاشيء يثير غضبه. أكثر من وصوله متأخراً إلى مكتبه، ولم أفهم سبب ذلك...

- وهكذا سوف يكون لك عَمٌّ غاضب حتى آخر يوم في حياتك إذا كانت هذه إرادتك....

قاطعهم "التمساح الشجاع": - يكفي هذا! لقد مزحنا كفاية حتى الآن! نحن مجتمعون هنا للتخطيط لنشر الفوضى في صفوف "فرقة الخيالة الخامسة". وليس لأي سبب آخر!

سكتوا جميعاً، وركّز كلٌّ منهم كي يجد فكرة مناسبة. وبما أن الأفكار لم تأتِ، فقد جالوا بأبصارهم، ونظروا حولهم، فلاحظوا غير بعيد عن موقعهم، شخصاً يجلس على برميل نفط قديم؛ كان يستمع إليهم ويدوّن ملاحظات على

دفتر صغير، فأخذوا يحدّقون إليه ويتفحّصونه، ومالبث أن وقف، وصحّح وضع نظّارته، وسار مبتعداً.

قالت "الريشة السريعة": - إنه جاسوس آخر من جواسيس "فرقة الخيالة الخامسة"

- لكنها المرة الأولى التي نراه فيها.

- يبدو أنه قد التحق حديثاً في صفوفهم. قبل ذلك كان يخدم في فوج آخر.

- في "فوج الخيالة الثامن"، مثلاً؟!

- نعم، في "الثامن"، ولم لا؟ لديهم أفواج كثيرة، كما تعلم.

- آه!

قال "التمساح الشجاع": - لحسن الحظ أننا لم نكن نتفوه بحماقات.

قالت "الريشة السريعة": - نعم! كيف كنا نبدو ياترى؟

- نحن لا يهمنا كيف نبدو أمام أنظار العدو.

قاطعتهم "فأرة السم": - لقد تأخر الوقت- وأنا أرى أننا لم نتقدم كثيراً.

قال "التمساح الشجاع": -هذا صحيح- لا توجد لدينا، هذا المساء، أفكار جيدة، نحن بحاجة، فقط، للترويح عن أنفسنا، وهذا جيد. يحتاج المرء بعض الأحيان أن يفرج عن نفسه بالتفوه بحماقات. سوف نؤجل جلسة اليوم إلى الغد، وحتى ذلك الوقت، ليفكر كل واحد منكم بخدعة.

قال الزئبق: - جيد! - قبل كل شيء، سوف نتعاهد على الحفاظ على السرّ.

- الأفضل أن نُقسِم على ذلك. لنقف جميعاً!

وقفوا، وشكلّوا دائرة... خفضوا رؤوسهم، ثم مدّوا أيديهم نحو مركز الدائرة، حيث تلامست.

قال التمساح: - نقسم على اتحادنا، وعلى محاربة "فرقة الخيالة الخامسة" ردّد الآخرون:

- نقسم على ذلك!

- نقسم على أن يُساعد بعضنا البعض الآخر حتى الموت!

- نقسم على ذلك!

- نقسم على الحفاظ على سرية مشروعنا!

- نقسم على ذلك!

وبصقوا جميعاً على الأرض. ثم، وبصمت، أقسموا لأنفسهم القسم السري، وأدار كل منهم ظهره لرفيقه، وذهب على حصانه نحو "الجبال الرمادية" لقلعة "جول فيري"، أو "الغابة المظلمة"، للمركز التجاري، أو نحو الأراضي البعيدة "للمنازل الصغيرة المقدسة". كانت جيادهم الجامحة ترسل غيوماً عالية من الغبار؛ فتحجب ضوء الشمس الغاربة.

بيتٌ في الغابة

أمسكت السيدة "بلوشون" بطبشورة، وحاولت، بلا جدوى، أن تكتب جملة على السبورة. كانت الطبشورة تنزلق دفعة واحدة، دون أن تترك أي أثر. أمسكت المعلمة بواحدة أخرى، لكن المشهد تكرر من جديد: الطبشورة تتزحلق وتنزلق جانباً، ساحبةً خلفها المربية التي كادت أن تقع عن المنصة، وتسقط فوق سلة المهملات! التفتت إلى التلاميذ.

في الصف، توارت بعض النظرات المتهكمة خلف الكتب المفتوحة، وسرعان ما صمتت الضحكات المتفرقة التي كانت تصدر من هنا وهناك.

- أيتها الآنسة "الريشة السريعة" قِفي!

انتصبت "الريشة السريعة" واقفة، وقد أدهشتها معرفة "السلطات الرسمية" اسمها السري. إن "فرقة الخيالة الخامسة" لديها جهاز استخبارات منظم تنظيماً رائعاً.

تابعت المعلمة: -أيتها الآنسة "الريشة السريعة". لا أعرف من أين أتتك هذه التسمية. لكن ودون شك، لا علاقة لها بنصوص الإملاء أو مواضيع التعبير والإنشاء التي تكتبينها؛ ففي هذين المجالين، ريشتك مرتبكة، اذهبي الآن إلى المدير، واطلبي منه علبة طباشير جديدة.

تبادل "الهنودالخمسة" نظرات فيها الكثير من القلق والريبة. وعندما عادت "الريشة السريعة" بالطباشير، رفعت السيدة "بلوشون" رأسها، وتنفست بعمق، عائدة إلى السبورة؛ ولم تكن النتيجة في صالحها، فالطباشير كانت جيدة، ولكن السبورة هي التي كانت قد خُرِّبت؛ "فالتمساح الكبير" كان قد استغل فرصة الظهيرة كي يدهنها بقطع السجق التي استلمها من مطعم المدرسة، وأصبحت السبورة لزجة جداً، ولم تستطع جزئيات الطبشور أن تعلق بها، وحدثت بين

الصفوف حركة إثارة، لكن "فرقة الخيالة الخامسة"، كانت تشعر بالكبرياء فالسيدة "بلوشون" التي هي إحدى قادة عصابة "الوجوه الصفراء"، فكرّت برهة وجيزة، ورفعت رأسها ثانية وزمت شفتيها، ثم ثبتت أوراقاً بيضاء كبيرة على السبورة بمسامير كبس، وبعد أن سجلت انتصارها هذا، كتبت جملتها الملعونة بالقلم؛ وهكذا استطاعت أن تكمل درس القواعد.

في البدء، ترددت ضحكات صغيرة وخجلة، في أنحاء متفرقة من الصف، وما لبثت أن علت واتسعت، حتى عمت جميع أرجائه. تلفتت السيدة "بلوشون" حولها، لكنها لم تعرف سبباً لهذا الهرج. فقد امتص الورق الأبيض الذي ثبتته على السبورة كل الدهن الموجود عليها، وتشكّلت عليه بقع صارت تكبر وتأخذ أشكالاً مضحكة، و"تبتلع" كلمات الجملة، وهكذا ثأر الهنود لأنفسهم. ثم حان وقت الفرصة.

أصرّت "فأرة السم" على رأيها وهي تقف في ركن من ساحة المدرسة يقع بين المغاسل والحمامات، وبين سلم النجاة:

– أؤكد لكم أن هذا صحيح!

قال التمساح الشجاع: –لكن كيف حدث ذلك؟ ولم نره قط!

– ومن أين لي أن أعرف أنا؟ ثم إن هذا هو طريق بيتي وليس طريق بيتكم. وأنا واثقة تماماً أنكم لا تذهبون إلا نادراً إلى أجنحتنا.

– غير مهم... صفي لنا هذا "الشيء".

– إنه منزل مهجور؛ وزجاج نوافذه كلها محطّم، لكن الشبابيك لا زالت بحالة جيدة، إنه موجود في قلب غابة "سان أناتول" على بعد مئتي متر تقريباً عن الطريق، ومخبّأ جيداً بين الأشجار.

– وهل هو كبير؟!

– نعم! طابق أرضي وطابق أول، وربما توجد فيه سقيفة أيضاً. على أية حال، إنه كثير الغرف! وفيه مداخن...

– أنستطيع إشعال النار فيه؟!

– وهل أنتِ متأكدة من أنه خالٍ من السكان؟

- لا يوجد خطر من هذه الناحية! إنه مهجور تماماً، ومناسب جداً لعقد اجتماعات القبيلة فيه. لكنه غير صالح للمبيت فيه ولو ليلة واحدة.

- ولا حتى لمتشرد؟

- وهل يصلح للتسكع؟

- كلا.. هذا مستحيل. على كلٍّ، لم أرَ فيه أحداً..

سأل الزئبق: - وهل نذهب إليه هذا المساء؟

قال التمساح الشجاع: - حسنٌ! سنذهب إليه هذا المساء. وإذا راق لكم، فسوف نتخذه مقراً لقبيلتنا.

- أتقصد قريتنا!

- أقصد ملجأنا، في حال وقوع كارثة!

- وهناك، سوف نحضرّ غاراتنا على فرقة الخيالة الخامسة.

- وسنحتمي فيه إذا انهزمنا!

- إلى اللقاء، إذاً، هذا المساء!

دق الجرس معلناً نهاية الفرصة. وبالغمزات وطرفات العيون المتآمرة أنهوا يومهم المدرسي في حالة من الهياج الشديد، الذي عزته السيدة "بلوشون" إلى تقلبات الجو؛ فكانت تختلس النظر بطرف عينها، إلى السماء، من خلال النافذة، وهي تلوم نفسها لأنها نسيت مظلّتها في البيت، وتوقعت أن تهب عاصفة هوجاء مخيفة، لكن شيئاً من هذا لم يحدث، ولم تحصل سوى على ضحكات مكبوتة ومبتورة، وركلات أقدام متبادلة، و"همسات أو تمتمات" مهموسة بين الشفاه، وطائرات من الورق مُعْتَرَضَة وممزقة، ودفاتر مرمية على الأرض، وكتب مبعثرة، وطباشير مسحوقة، وأقلام حبر مفرغة رشّاً على صفحات بيضاء، وشعر مشدود، ونظارات ملوية... بينما ظلت السماء على حالها، بعدما أُطلق سراح التلاميذ، (هل كانوا في سجن الباستيل؟). ونزلوا إلى الشارع.

"فأرة السم" لم تكذب، ولم تحاول حتى حتى أن تُجمّل الأشياء.

لقد كان هنا منزل لأحلام، منزل القبيلة، وقام التلاميذ بزيارة غرف الطابق

الأرضي الأربع وهم يتمتمون بعبارات الإعجاب. ثم صعدوا السلم القديم الذي قادهم إلى غرف الطابق الأول الأربع. كان ورق الجدران ممزقاً في أماكن عديدة، لكنه مايزال يحتفظ ببعض الآثار، حيث أمكنهم مشاهدة بعض الورود ذات اللون الزهري، أو البني الفاتح، وسلاسل أفقية زرقاء وبيضاء، وكذلك بعض الرسوم الرمادية.

كان هذا كل مايحتويه المنزل، لقد كان خاوياً فعلاً، ومجرداً من الأثاث أو البسط أو الألواح الزجاجية على النوافذ حيث كان خشب الدعائم العاري يصطفق مع الرياح العاتية.

وبدت الأرضية بحالة جيدة، على الرغم من وجود بعض الأنقاض عليها. وبدا أن آخر قاطني هذا المنزل لم يتركوه إلا من فترة قصيرة.

نظروا من جميع النوافذ، وتفحصوا كل الأبواب والأجنحة، وصعدوا ونزلوا على السلم، ووضعوا المخططات المبدئية.

- هنا المطبخ.

- هنا قاعة اجتماع القبيلة.

- يلزمنا بعض الأثاث.

- على الأقل، بضعة كراسٍ.

- وما فائدتها؟ عندما كنا نجتمع في التلال، كنا نجلس على الأرض!

- إن وجود أثاث في المنزل يُعَدُّ شيئاً جيداً.

- لدى عمي بعض قطع قديمة من أثاث منزله، في القبو، ومقاعد، وإذا كان هذا ماتريدونه-سيعيرني إياها حتماً.

- ليُحضر كل واحد منكم ما يستطيع تأمينه.

- ألن تُسرق أغراضنا، إذا تركناها هنا؟

يمكن لأي شخص أن يدخل إلى هذا المكان متى شاء!

- لن يرغب أحد بإرباك نفسه بمقاعد قديمة.

- نستطيع أن نضع ستائر...

- وسجاجيد...

- هيه! تعالوا انظروا! توجد سقيفة هنا، فوق! وتدافعوا نحو السلم الذي اكتشفه "الزئبق" عند زاوية الممر، في الطابق الأول، والذي يصل إلى باب قلاب يفتح فوق رؤوسهم تماماً.

قال "كوكا كولا" : - أنا لن أصعد معكم.

- لماذا؟

- لابد من وجود بعض "الحيوانات" في الداخل!

- أيها الجبان. حيوانات! حتماً سيكون هناك واحد منها عندما ستدخلها.

- هل أنت خائف من مصادفة نمر؟

- أو دب قطبي؟

- كلا... بومة أو... غربان تطير أمام وجوهنا، أو أيضاً الأفاعي. شكراً جزيلاً.

كانت "الريشة السريعة" و"التمساح الشجاع" قدتخطيا فتحة الباب القلاب. وعلى عكس الغرف الأخرى، كانت السقيفة تعج بالملابس الرثة والأثاث القديم المدهش. وأمضى هنود القبيلة أمسيتهم فيها -بما في ذلك "كوكا كولا" الذي صعد إليهم خوفاً من بقائه وحيداً في الأسفل- دون أن ينتبهوا لمرور الوقت، أو لخروج "فرقة الخيالة الخامسة" من قلعة "جول فيري" وانتشارها من جديد في السهل، للبحث عنهم.

انشغل الهنود الخمسة في اكتشاف محتويات "المخزن" من بدلات قديمة مغبرة، وفساتين، وستائر وأحذية نسائية ورجالية، وجزمات، مكدّسة ويوجد بعضها فوق بعضها الآخر في ركام لا يمكن وصفه. وكان الركام نفسه هو أكثر ما يسعدهم في هذه المحتويات.

وجدوا آنية مائدة وآلة تصوير أثرية، وسيوفاً صدئة، وقِرَبَ خمر، وصحوناً فضية، وشمعدانات، وكراسي محطمة، ولعباً قديمة، وكتباً عفنة بفعل الرطوبة، وحيوانات محنّطة: ابن عرس وبومة، وأبواق صيد، وبندقية مصنوعة من الحجر، وفوانيس زيتية، وحقائب سفر، وأغطية أسرّة، وعدسة مكبّرة، وسكاكين،

وشرائط، ولآلئ، وجزداناً صغيراً مليئاً بقطع النقود القديمة، وسجاجيد شرقية، ولوحات لكبار الفنانين...

كانوا سعداء، سعداء جداً كلما اكتشفوا غرضاً جديداً، تجرأ التمساح الشجاع قائلاً وهو يرى الليل يرخي أستاره:

- لكن، يجب علينا أن نعود إلى منازلنا.

- إنه لأمر مؤسف!

- سوف نعود غداً!

- نعم، لكن ذلك ليس إلا حلماً؛ غداً، لن نجد شيئاً البتة!

قال التمساح الشجاع: - حسنٌ! إذاً- أقترح ألا نعود وأيدينا فارغة؛ ليأخذ كل منا معه شيئاً واحداً فقط، سراً، طبعاً، من هذا المكان إلى منزله.

ودون أن يفكروا، ولو برهة قصيرة، بموضوع ملكية هذا المنزل ومحتوياته، وجدوا الفكرة ممتازة، وبدأوا يفتشون. أخذ "التمساح الشجاع" قرناً، فأصدر صوتاً مرعباً عندما نفخ فيه.

وضع "الزئبق" في جيبه منظاراً مقرّباً أعجبه كثيراً.

وانتقت "فأرة السمّ" مرآة منقوشة الجوانبِ بدقةٍ، ورأت نفسها فيها أجمل مما هي في الواقع.

وبعد أن تردد "كوكا كولا" بين سيف وآلة تصوير،أخذ في النهاية جزداناً له قفل مذهب.

وتركوا المنزل في الظلام الحالك، ومشوا وهم يتلمّسون طريقهم في الغابة غير مطمئنين. "الريشة السريعة" لم تأخذ شيئاً.

لكنها سمعت، وهي تنزل السلم، حفيفاً حول أذنيها، وشعرت بأن طائراًحط على كتفها، وبدلاً من أن تخاف منه، أو تبعده، تركته يرافقها طول الطريق، وكان يطير من هنا إلى هناك، أو يقف من جديد على كتفها، أو على يدها، واكتشفت "الريشة السريعة"، على ضوء مرآة عاكسة. إنها يمامة ناصعة البياض؛ فابتسمت لها.

كان الوضع "العسكري" قد تفاقم إلى حد خطير للغاية، وكانت "فرقة الخيالة الخامسة" قدنشرت قواتها. وما إن يخرج الهنود من غابة "سان أناتول" حتى تطلق المدفعية التابعة لها آلاف الطلقات، تعبيراً عن غضب سكان المدينة والضواحي الذين كانوا يعانون حالة انفعال شديد بسبب تجاوز "الهنود" هذا اليوم، كل قواعد ومقاييس وحدود اللياقة والأدب، وبكل بساطة: الوقت.

لقد كانوا يتوقعون نتيجة ذلك عودة مضطربة، وملاحظات لاذعة -على أقل تقدير-، ونهاية للسهرة حامية بدرجةكافية، ونوماً مقلقاً.

ومع ذلك، لم يكن هذا كل ماحدث لهم في هذا المساء.

عودة غريبة!

توجد، على الأقل، مليون حيلة ووسيلة للعودة بذكاء إلى المنزل، عندما تحوم في الجو رائحة الحرب كما كان يحدث هذا المساء. ويرتكز بعضها، على إيجاد حجة مناسبة نوعاً ما، وأن يختفي الواحد منهم خلف أكاذيب متراكمة بعضها فوق بعضها الآخر كصناديق البرتقال؛ لكن هذا النوع من الحيل لن يصمد أو يدوم أكثر من صمود صناديق برتقال أمام نيران المدفعية.

ويمكن لأحدهم أن يلوذ بالفرار، بعد أن يشعل النار في الغابة، وأن ينشر ذعراً يضاهي الذعر الذي يحاول الخلاص منه. وبإمكانه أيضاً إطلاق صيحات هلع مأساوية لحظة الإمساك به، لإيهامهم بحدوث حادث رهيب له، مما يجعل الأهالي يشعرون بشيء من الراحة والاطمئنان لأنهم يواجهون مسألة تأخير بسيط فقط. وهذا ما يسمّى بـ "المسألة النسبية"!

كان هنود "قبيلة الخمسة" قد استخدموا هذه الحيل مراراً، واستهلكوا جميع خيوطها، وكان يلزمهم هذا المساء شيء مختلف تماماً كي يأملوا بالنجاة في " المحكمة العليا". تمّ الأمر لكل واحد منهم، وعاد إلى منزله بحيلة جديدة، وهو بحالة جيدة،وفي ساعة متأخرة من الليل، ودون إذن مسبق بذلك، مضيفين إلى حيلهم السابقة حيلاً جديدة من نوع آخر.

***

كان "التمساح الشجاع" أول من شعر بالخطر،بعد أن ابتعدوا عن المنزل المهجور مسافة تقل عن المئة متر. وعرف أن هناك شبه غارة تعد لها العدة، من خلال الأنوار التي كانت تشع من هنا وهناك كشهب هابطة من السماء، ومن النداءات والأصوات المتفرقة التي كان يتبادلها أشخاص يحملون فوانيس بأيديهم. وبحركة واحدة أوقف صحبه:

– قفوا!.. والآن، انتشروا.. المكان يعجّ بالجواسيس سوف أنفخ ببوقي لأجذبهم نحوي؛ استغلوا أنتم الفرصة للهرب والعودة إلى منازلكم التي ستصلون إليها قبل أجدادنا، وهذا شيء جيد. وليَحمِكم الإله "مانيتو"[٣]، أنتم وجلودكم التعيسة!

وما إن التقطوا أنفاسهم، واشتدت عزائمهم، حتى انطلقوا جميعاً هاربين، وهم يكنون العرفان بالجميل، لزعيمهم الذي سوف يتحمل التعذيب المخيف الذي يُعدّ عادة للقادة والزعماء.

استل "التمساح الشجاع" بوقه الذي كان يتدلى من رقبته، بشريط أحمر جميل، ورفعه بفخر إلى فمه، وأغمض عينيه، ثم تنفس بعمق و...نفخ، مرة وثانية وثالثة...

انتشر في الغابة لحن موسيقي رائع، وفريد في نوعه، كان طويلا وثابتا، ونحاسيا ورنانا، وظل ينتشر حتى ملأ الغابة. وبدا لـ"التمساح الشجاع" أن جسمهُ يكبر. وأنه أخذ شكل رجل، وهيكل عملاق. وشعر بأن الأرض التي يقف عليها أصبحت أبعد وأن الأرجل التي تمشي هناك، بعيداً جداً تحته، ليست له....

وتوقف عن النفخ...

وانقضت عليه الكلاب، مثلما انقضت على "رولان دورونسوفو" الشخصية الأسطورية القديمة؛ – قيل له:

– عفواً، سيدي، نحن في مهمة للبحث عن خمسة أطفال لم يعودوا من المدرسة، هذا المساء...! إننا قلقون جداً عليهم..

(سيدي؟ سيدي؟ سيّ يـ يـ يدي! هل أنا الشخص الذي يكلمونه؟ بِش.. ش!! ونظر حوله... سيدي يـ يي؟ إمّ، إمّ، إنه، دون شك، سوء تفاهم ناتج عن الظلمة، لكن لا، لا، مستحيل! كان الناس يحيطون به، لم يكونوا أبداً أطول قامة منه!).

أجابهم بكل وقار: – خمسة أطفال؟

وهاهو يتكلم بصوت ضخم، صوت جميل جداً،وعميق وخفيض ورنان!

رفع يده إلى حنجرته، ثم إلى خده... هنا؟ شَعْر؟ لا!

---

[٣] "مانيتو" إله يسيطر على قوى الطبيعة، عند الهنود الحمر.

إنها لحية! كان له لحية وشاربان!

– نعم، – ردد الناس من حوله – خمسة أطفال!

– لم نستطع العثور عليهم!

– لا بدأنهم هربوا!

صاح التمساح الشجاع بصوته الهائل: "انتظروا، انتظروا! لنفكر قليلاً، هِم... هِم.... لكن، لا يوجد أي سبب يبرر هروبهم، أليس كذلك؟

– حسن...

– أووه...

– أي أن....

زمجر "التمساح الكبير": – ماذا، أي أنّ؟

تجرأ أحدهم وقال هذه العبارة: – كانوا، فقط، قد تلقوا بعض "التحذيرات" "حول هذا الموضوع.

– هم، نعم؛ إنني أرى... وكانوا يتوقعون أن يتلقوا شيئاً أكثر من المعاتبة، اليوم، أليس كذلك؟

– يحق لنا، على أية حال، أن نعبر عن عدم موافقتنا!

– قال "التمساح الكبير" وهو شارد الذهن:

– طبعاً، طبعاً... لكن حاولوا ألا تتركوا الكثير من "آثار" عدم موافقتكم. وبانتظار ذلك، لنخرج من الغابة. إنّهم ليسوا هنا، لقد رأيت منذ أقل من نصف ساعة، أولادكم الصغار أولئك، ها،ها، ها... إنني متأكد من أنّهم قد عادوا الآن إلى منازلهم، بينما أنتم، هنا، تلعبون دور المهرج، حاملين فوانيسكم هذه.

وظل يقول أي شيء يخطر بباله، على الرغم من بعض عبارات الاستنكار التي رددها بعضهم. لقد كان موزعاً بين رغبته في إلقاء محاضرات طويلة، بصوته السحري، صوت الرجل الكامل، حول مسألة "وضع الطفل الحضري" ورغبته في التخلص منهم بأسرع وقت كي يتمكن من تأمل نفسه بهدوء في أول مرآة يصادفها. ومع هذا، فقد كان في سرّه، يضحك من أهله الذين تعرف إليهم

وسط هذه الزمرة التعيسة.

وعندما خرج "التمساح الشجاع" من الغابة، وسار في الممرات المضادة، شعر بالدوار مرات عديدة بسبب حجمه الكبير الجديد. كان صعباً عليه التأقلم مع أعضاء طويلة إلى هذا الحد في دقائق معدودة.

وبعد أن صرف الأهالي وفوانيسهم، سار وحيداً، ويداه معقودتان خلف ظهره، وهو يتطلع إلى البعيد، تداخلت الأسئلة في رأسه.

لكن الحقيقة الوحيدة التي كانت لديه حول هذه الحادثة، حتى الآن، هي أن التحول حصل له بعد أن نفخ في البوق، وعلى أية حال، بعد أن نفخ فيه مدة طويلة، إذاً؛ لهذه الآلة علاقة بهذا الموضوع.

حسن جداً، إن وضعه الحالي، كرجل ناضج، قد يبدو للوهلة الأولى ذا فائدة كبيرة؛ غير أنّه، في الواقع، سيسبب له مشاكل جدية، أولها: أنّه لن يستطيع العودة إلى منزله وهو على هذا الشكل. فمنذ برهة، لم يستطع أحد التعرف عليه؛ ولن يقبل أخوته أو أبناء عمومته، في الطابق السادس، أن يشاركهم غرفة نومهم "رجل غريب"!

ومن جهة أخرى، لم يكن يملك أية أوراق ثبوتية، ولا فلساً واحداً في جيبه، ولا حتى شرحاً مفيداً يدلي به في حال استجوابه.

ولم تكد نصف ساعة تنقضي على تحوله إلى رجل، حتى بدا له أن ذلك قدحدث منذ وقت طويل جداً. إن جميع أنواع السحر، وعلى اختلاف أنواعها، لها نقيضها. والوضع المثالي هو أننا عندما نملك سحراً معيّناً. يجب علينا أن نعرف، بالتأكيد تعويذة إبطاله.

و"التمساح الشجاع" لم يكن غبياً أو أحمق بتاتاً، وكان ترتيبه السيىء في المدرسة غير قائم على أسس صحيحة، بل كانت نتيجة نزواته ومواقفه المتقلبة. ثم إنّ أكبر دليل على ذكائه هو اختياره زعيماً للقبيلة؛ نعم! هذا هو الدليل القاطع على أنّه ذكي.وبدأ يفكر:سحر –مضاد للسحر؛ سم –مضاد للسم؛ مرادف –ضد؛ تيار –مضاد.

– آ ا اه! وإذا نفخت في الناحية الأخرى من البوق؟

وأخذ آلته ونفخ فيها؛ ليس من ناحية الفم الضيق بل من الجهة الواسعة،

فأرسل البوق صوتاًطويلاً وحاداً،ومضحكاً نوعاً ما، نظر "التمساح الشجاع"، إلى قدميه، ورأى الأرض تقترب منه،وكان هذا هو الشيء المهم.

إن الساحر الجيد هو الذي يملك التعاويذ اللازمة لكل ألاعيبه، وهاهو قد بدأ بداية جيدة في هذا المجال، وتملكه السرور وفرح بنفسه كثيراً. لكن ذلك لم يمنع مشاكله القديمة من العودة إلى السطح.

كان باستطاعته العودة إلى البيت، لكن بأي ثمن؟ وماذا لو التقى مصادفة برجال الأمن؟

الشرطة؟ الشرطة؟ اللعنة! لكن حتماً...

ولمعت الفكرة في ذهنه بسرعة البرق. فأخذ البوق ونفخ اللحن الجميل وعاد رجلاً ناضجاً. وبما أن السحر ألبسه ثوباً واقياً من المطر أيضاً؛ فهو الآن الذي سيلعب دور الشرطي.

صعد إلى منزله مضطرب الخطا، خائفاً بعض الشيء. وبعد أن تردَّد قليلاً، دق الجرس، الذي بدا له منخفضاً جداً. وفتح والده الباب:

– ماذا؟ من أنت؟

قال التمساح الشجاع: – أنا المفتش "كوديل"–. إنني قادم بشأن ابنك.

قال الأب قلقاً، وقد بدا صغير الحجم أمامه:

– هاه؟ ما الذي حدث؟

– هل وجدتموه؟ هل حدث له مكروه؟

أضافت الأم، وقد جاءت مسرعة، هي وبناتها، وأبناء وبنات العمومة:

–... هل وجدتموه؟ هل حدث له مكروه؟

كان جهاز التلفاز لا يعمل، لأن العائلة عقدَت اجتماعاً فور عودتها إلى الدار... همس التمساح الشجاع وهو يفقد رباطة جأشه، بسبب النظرات الدرامية التي كان عليه تحمُّلها:

– لاشيء... كلا، لم يحدث له شيء خطير؛ كلا، اطمئنوا!

لقد وجدنا "العصابة" الآن... إنهم جميعاً في الأسفل... يمكنكم النزول

لرؤيتهم...هيّا!

واندفع الجميع نحو الدرج: العائلة، والأقارب، وكل سكان البناية فاستغل هو هذه الفرصة ليدخل الشقة وليحبس نفسه في غرفته. وبلا أي تأخير، أخرج بوقه ونفخ فيه بالاتجاه المعاكس. وعاد، من جديد، تلميذ المرحلة المتوسطة البسيط، الذي لم يكف أبداً، في قرارة نفسه، عن الشعور به، وبعثر بعض الدفاتر على مكتبه، وتظاهر بأنه غارق في الدراسة منذ مدة طويلة.

ولم تلبث الجلبة أن عادت إلى المنزل.

كانوا يصيحون:

– لقد وجدوهم جميعهم، نعم، عدا ابننا "جيروم"..

– إنه هو أقواهم!

– وماذا سنفعل نحن؟ ماذا سيحلّ بنا نحن؟

– هل تعتقدون أن مكروهاً قد حدثَ له؟

– يجب أن نجد المفتش..

–سوف ينتهي الأمر بهذا الصبي إلى إرساله إلىمدرسة داخلية.

– آه، كلا! إن هذا غير ممكن، غير ممكن!

– لاشك أنه جرح نفسه.

– قد يكون الآن قابعاً في الظلام في مكان ما،وهو ينادينا...

– إن هذا فظيع، فظيع جداً.

كان "التمساح الشجاع" يستمع إليهم، وهم يذرعون الشقة جيئة وذهاباً، ويندبون حالهم، تسارعت ضربات قلبه، لأنه عرف أنهم يحبونه، وسوف يفتقدونه كثيراً، إذا ما وجب عليه الاختفاء في يوم من الأيام.

فتح باب غرفته، وقد استعد لتحمل كل ماقد يحدث له، عن طيب خاطر.

– ما الذي يجري هنا؟ –قال ذلك بهدوء كبير، كأن شيئاً لم يكن–متى سنأكل؟

صاح جميع أفرادالعائلة معاً، وقد فوجئوا وتداخل الصوت الخشن بـالصوت الناعم....

- "جيييـروووم!"...

- طبعاً، نعم..، هذا أنا، لماذا؟!

- أين اختفيت؟!!!

- ولكن.... في غرفتي!

- كيف؟ إننا نبحث عنك في كل مكان مع الجيران! إن عـدد الذيـن اختفـوا خمسة. أقصد، أنتم دائماً معاً، هيا، قل لنا كيف عدت؟!

- أنا؛ مثل العادة، من الباب، لم أكن مع الآخرين هـذا المسـاء، وكـان لهـذه الكذبة وقعٌ سيء على الجميع، وشعروا كلهم بعدم الرضى ونظـر كـل منهـم إلـى الآخر نظرات يشوبها الشك والدهشة.

أيعقل تصديق ألاّ يكون أحد قد فكر بفتح باب غرفة هذا الوحش قبل الذهاب للبحث عنه؟ بدا هذا الأمر جَلَلاً، ومع ذلك كان هذا الوحـش هنـا، وهـاهو خـارج من غرفته!

لم يقل أحد شيئاً، وقُدِّم العشاء. وحضر الجميع نومه؛ ونظروا إليه وهو يغط في سباته، وعلى شفتيه ابتسامات ناعمة.

وبينما كان "التمساح الشجاع" يغمض عينيه، وقد دفن رأسـه تحـت وسـادته، وهو يحاول التعرف على الخيالات الحنونة التي كـانت تغمـر نومـه المصطنـع- ويحاول البحث عن فكـرة رهيبـة، وعـن لعبـة جهنميـة يقـوم بهـا، بوسـاطة بوقـه السحري الذي يحسده عليه أصدقاؤه حتماً. ولن يكـون ذلـك أبعـد مـن الغـد علـى أقصى تقدير!

الآخرون يعودون أيضاً!

بعدما أصدر "التمساح الشجاع" الأمر بالتفرق، ونفخ في بوقه، جاذباً إليه كل شخص كبير كان يبحث عنهم في غابة "سان أناتول"؛ ركض كل منهم باتجاه ووجدت "فأرة السم" نفسها وحيدة. وفي هذه اللحظة أدركت الوضع الخطير الذي قادهم إليه فضولهم الجماعي.

وتصورت أمَّها وقد خرجت للبحث عنها كما في الليلة السابقة، ووالدَها جالساً على كرسيه، عائماً بين سجلات وزارته، منتظراً عودتها. ومتصلاً بالشرطة بعد فقدان الأمل في العثور عليها. فكيف لها أن تعود إلى المنزل غير مبالية لتقول : "كوكو، ها أنذا!".. وللمرة الثانية خلال هذا الأسبوع، ودون خوف، من اللوم أو من محاضرات لا تنتهي، أو من عقاب قاسٍ؟!

كان هناك ممر مضيء بمحاذاة الغابة من الجهة اليمنى، وكذلك مجموعة من البيوت الصغيرة على الجهة المقابلة. وتمنت "فأرة السم" ألا يراها أحد، وهي تتحاشى، قدر استطاعتها، سقوط البقع الضوئية عليها من مرآة عاكسة. واستغرقت وقتاً طويلاً للوصول إلى مسكنها. وهناك لم تتجرأ على التقدم مباشرة نحو البوابة، فاستندت إلى أقرب غرفة هاتف، وبدأت تفكر بخطة تنفذها.

أخرجت من جيبها المرآة، التي وجدتها في السقيفة وتأملت وجهها الطفولي الحزين على الضوء المنبعث من غرفة الهاتف. آه، نعم! يبدو أنّها وجدت نفسها جد كئيبة، لأنها رسمت وبصعوبة، على شفتيها، ابتسامة خجلى، لتعطي الشجاعة لنفسها قبل مجابهة "العدو".

وحدث عندئذٍ أمر عجيب، ما إن ابتسمت حتى اختفت صورتها فجأة من المرآة. وحركت "فأرة السم" الشيء الذي تحمله بكل الاتجاهات، وتأملته من جميع الزوايا، فلم ترَ فيه سوى الصورة المقلوبة لغرفة الهاتف، وكادت المرآة تقع من بين يديها!

- لكن أين؟ أين؟ أين؟!!

- هل تريدون حقاً رؤيتي في الحال!

قال الوالدان معاً: - طبعاً!

- لماذا تهتمان بي كل هذا الاهتمام وأنا لا أستطيع أن أظهر، بينما لا تفعلان ذلك أبداً، عندما أكون ظاهرة للعيان؟

ومن جديد، تبادل الأبوان نظرة.

قال الأب: -عندما لا تريد فتاة صغيرة الظهور، يعتبر هذا وضع غير طبيعي اعترفي بذلك.

قالت الفتاة: - إنني أعترف بذلك، إنني أعترف. ثم تابعت، وبصوت أرق: -سوف أخرج من مخبئي بالتأكيد، إذا حضرتما لي طعاماً، وتركتماني وحدي هنا عشر دقائق.

قال الأب: -"جيرالدين"... إن وجبة طعامك تنتظرك منذ ثلاث ساعات في المطبخ!...

- حسن، إنني أحب أن أتناولها معكما في قاعة الاستقبال.

قال الاب: - لقد تناولنا طعامنا وحدنا...

- هذا لا يدهشني كثيراً؛ لكنكما تودان تناول شراب ساخن أيضاً.

وتبادل الأبوان نظرة ثالثة:

قالت الأم: -هيّا، لِنُعِدْ تسخين الطعام كله. وذهبت مع زوجها إلى المطبخ، حيث بدأا يتحدثان بصوت منخفض

رددت "فأرة السم" عشرات العبارات السحرية، وهي تنظر إلى المكان الذي يجب أن تكون فيه المرآة، لكن شيئاً لم يظهر، وحتى المرآة ظلت مختفية. ثم فكرت طويلاً، وأخيراً أتتها فكرة. الفكرة نفسها التي خطرت لِـ "التمساح الشجاع" عندما نفخ في الجهة المعاكسة لبوقة. تيار-تيار معاكس، مرادف -ضد...

أدارت المرآة، ونظرت إلى ما افترضت أنه ظهر المرآة...

وَظَهَرَ "شيء" ثم يداها وذراعاها وجسدها ورجلاها، وأخيراً ظهرت

"جيرالدين" بأكملها. تركت كرسيها وذهبت إلى المطبخ، حيث جذبتها إليه محادثة والديها، والرائحة اللذيذة المنبعثة من قدر الطعام.

"كوكا كولا" لم تحدث له تلك المشاكل كي يعود إلى منزله، لكنه عانى من مشاكل مختلفة. ومع ذلك، كان هو الذي قام بأحسن حيلة في تلك الأمسية. فبعد أن هرب من دائرة "الخيالة الخامسة" أطلق ساقيه للريح، وقام بعدة جولات حول المدينة، حتى يضيع آثار الأقدام، وصعد إلى منزله دون متاعب.

كما في أغلب الأحيان، لم يكن عمه قد عاد بعد، وحتى إلى ساعة متأخرة في هذه الليلة، طبعاً، لن يخلو الأمر من بعض ألسنة السوء التي ستخبره أن ابن أخيه عضو في هذه "الجماعة المخيفة، وسوف يقصون عليه الحكاية بأكملها، "ويا سيدي العزيز، ويا سيدتي العزيزة... هل تدركون مدى خطورة هذه الأعمال في مثل عمرهم؟...". لكن هروبه عندئذٍ سوف يكون قصة من الماضي البعيد. والمهم أن عمه لم يعايش الحدث بنفسه.

وضع "كوكا كولا" القنبيط على النار ليسخن، وفي أثناء ذلك أخذ ينظر إلى الجزدان الجميل الذي أخذه من منزل القبيلة. لقد كان مصنوعاً من الجلد الأسود، وله قفل مزدوج من النحاس الذهبي اللامع ويعمل بالضغط. كان جزداناً حقيقياً للنقود القديمة، وهو تحفة نادرة. وكان خفيفاً جداً، ولا يُحدِثُ قفله أيَّ صوت عند فتحه أو إغلاقه: ولكنه كان فارغاً دون شك. وتمنى "كوكا كولا" أن يجد فيه بعض القطع النقدية القديمة، ليتمكن من بيعها لأحد هواة جمع النقود الأثرية!

كان الجزدان يتألف من طبقتين منفصلتين مع قفل خاص لكل منهما. وعندما فتح الطبقة الأولى وجد مفاجأة عظيمة عظمة ورقة نقدية من فئة المئة فرنك، وهي التي وجدها بالضبط، ورقة جديدة طواها ووضعها على الطاولة.

- يا للحظ السعيد!

وصار يحاول أن يحصي عدد قطع العلكة وزجاجات الكوكا كولا التي كانت المئة فرنك تمثلها. وكان هذا بالنسبة له صعباً، لأنه لم يكن أبداً لامعاً في مادة الرياضيات، ومع ذلك كان سعيداً جداً، لأن الحظ ابتسم أخيراً لأكثر الناس ضعفاً. وفتح الطبقة الثانية:

-هذا مستحيل!



- هم، هم.. هذا صحيح. سوف نأخذ المبلغ ونسلمه للشرطة.

- للشرطة؟ -صرخ كوكا كولا- كل هذا المال؟ ولكن هذا سيوقعنا في ورطة كبيرة معهم.

قال العم وهو يفتش في المطبخ:

- أوه! إنها بالطبع ليست نقوداً مسروقة، أنت تعرف ذلك.

- أين القنّبيط؟

- احترق، في صندوق القمامة!

دمدم العم غاضباً: -كيف في صندوق القمامة؟ وهو يضع لنفسه شطيرة من جبنة الكاممبير، وأخذ يأكل وهو يقرأ بعض السجلات التي سقطت من جعبته وتناثرت على الطاولة بين الأوراق المالية، وبعد فترة، نهض وتثاءب ثم قال:

- إنني أشعر بالنعاس، لقد تجاوزت الساعة الواحدة صباحاً، كم جمعت من المال؟

- يوجد أكثر من مئة وثلاثين ألف فرنك، من الفرنكات الجديدة طبعاً.

- هذه ثروة كبيرة! هل المبلغ كله هنا؟

تردد كوكا كولا قليلاً.

- إيه... توجد كمية منه في حقيبة كتبي.

لقد فضل أن يعطيه الأوراق النقدية بنفسه، لأنه كان متأكداً من أن عمه سوف يفتش في أغراضه، واحتفظ لنفسه بسر الجزدان السحري الذي يصنعها، هذا إذا أراد ذلك ثانية.

ونام تلك الليلة نوماً مضطرباً. وبينما كان "التمساح الشجاع" يحلم في نومه بأنه يقود سيارات كبيرة من النوع الثقيل وقد أصبح رجلاً كبيراً، و "فأرة السم" تحلم بأنها تسترق السمع لتعرف ماذا يقال في اجتماعات مجلس الصف، وهي مختفية عن الأنظار -كان كوكا كولا يحلم بأنه أغنى من "العمّ ذهب" وأذكى منه، وأنه كان مطارداً من عصابات حاولت حتى الآن اغتياله مرتين للحصول على جزدانه العجيب، وسقط مرتين من سريره.

إذا كنتم تعتقدون أن "التمساح الشجاع" و "فأرة السم" و "كوكا كولا" قد قضوا ليلة غير عادية، فانتظروا سماع قصته "الزئبق" كي تتمكنوا من الحكم على الأمر حكماً صحيحاً.

تذكر أن "الزئبق" خرج من بيت الغابة وهو يحمل منظاراً وضعه في جيبه، وهرب من الغابة بفضل خدعة "التمساح الشجاع" وركض مسافة عدة مئات من الأمتار، ودار حول البنايات الكبيرة في المدينة، من الناحية الجنوبية، وفضّل العودة عن طريق موقف السيارات الكائن تحت الأرض، خوفاً من أن يكون أحد منتظراً إياه عند المدخل الرئيسي للبناية التي يقطن فيها، وكان على حق.

تسلل نحو البناية المجاورة، ومشى بمحاذاة حائط المبنى واختبأ في الظل، عند زاوية الحائط، ثم أخذ يتأمل، من بعيد، المنحدر الذي تدخل منه السيارات القابعة على بعد عشرين متراً، يا للخسارة!

كان أسوأ حارس موجوداً هناك، لقد اختار ذلك المكان كي يستنشق الهواء النقي ويدخن غليونه بهدوء، أو أنه بالأحرى جلس هنا يراقب المكان بعد أن اكتشف نوايا هذا الولد المشاغب، يا لظلم القدر!

بسبب تأخير بسيط، قاموا بتجنيد كل القوى العاملة سليمة البنية، وسدوا جميع المنافذ، ولماذا أيضاً لم يقوموا بوضع حارس على صهوة جواده أمام كل شجرة من أشجار المتنزه؟ ونظر الزئبق بتمعن إلى البناية (ب)، بنايته التي كانت تنتصب أمامه، وشاهد نافذة غرفة نومه مفتوحة، في الطابق الثاني، وبجوارها نافذة غرفة نوم أهله مضاءة من الداخل، حيث كانت انعكاسات أنوار التلفزيون تتماوج على سقف الغرفة وتداعبه لكن والديه لم يكونا يشاهدان التلفزيون، لأنهما ذهبا للمشاركة في البحث عنه مع الآخرين...

ولمعت فكرة في ذهن "الزئبق": بما أن النافذتين كانتا مفتوحتين؛ فلماذا لا يحاول الدخول من إحداهما إلى المنزل؟ إنها، على أية حال، لم تكن عالية جداً! وعند تسلّق الأشجار القريبة... لكن الحارس كان يجلس قريباً جداً من الحائط، ونافذة غرفة والديه تطل على مدخل المرآب تحت الأرضي...



أخرج منظاره، من جديد، من جيب سرواله، وفحصه، ثم رفعه إلى عينيه. ونظر إلى الشاشة، التي كانت تعرض أيضاً إعلاناً، وشاهد طباخاً يرتدي زيه الكامل: قبعة وكل شيء، كل شيء، وهو يطبخ على نار خفيفة، في عُشرٍ من الثانية، أطباقاً متنوعة، وذلك بفضل قدر ضاغطة، وهو يثني على ميزاتها، ومن خلال منظاره، رآه "الزئبق" يكبر ويكبر، ثم يخرج من التلفاز وهو يحمل بكلتا يديه طبقاً يحوي قطعة من لحم العجل المشوي، ويضعه على المنضدة، أنزل "الزئبق" منظاره ورأى الطباخ يقف في ركن من أركان الغرفة وهو يبتسم له، وكان اللحم ساخناً.... وكانت بعض القطع قد شُرّحت شرائح ومعدّة على نحو شهي... هم م م.. وتذكر أنه لم يأكل بعد، وأنه جائع جداً، انحنى الطباخ أمامه بكل أدب واحترام وطلب منه الإذن بالانصراف. وبعدما حصل عليه خرج إلى بهو البيت ثم إلى الدرج وكأنه يعرف المكان معرفة تامة.

بدأ "الزئبق" تناول قطعة من اللحم وهو ينظر إلى التلفاز الذي كان يعرض مجموعة من الألبان بالفاكهة، فسارع إلى وضع منظاره وحصل على مجموعة جميلة منها، وعندما شعر أنه اكتفى أنزل المنظار وحمل غنائمه إلى المطبخ حيث أكل مثل "باشا"، لقد اكتشف المقدرة الخارقة التي يتمتع بها منظاره، دون أن يحاول شرحها لنفسه. وأعتقد أنه ليس عليه أن يشرحها لأي شخص آخر، وكان كل ما عليه أن يمتّع نفسه بهذا السحر وأن يستخدمه جيداً.

وبعد قليل، نام في قاعة الاستقبال على مقعد والده. وسرعان ما استيقظ على صوت ضجيج.

لقد عاد أهله، وكانوا في غاية الإرهاق والغضب، لأنهم كانوا يبحثون عنه في كل مكان، بينما هو جالس هنا بكل هدوء، وكانوا يتساءلون من أين جاء باللحم والألبان التي كانت تغطي الطاولة.

وقرر الزئبق أن يأخذ زمام الأمر؛ فنهض، وبقفزة واحدة وصل إلى مكتب والده، حيث أقفل الباب على نفسه بالمفتاح.

ومن وراء الباب سمع الوالد والوالدة والجد والجدة والإخوان والأخوات والكلب والجيران والحارس وزوجته، كلهم يصيحون بأعلى أصواتهم، ويطلقون التهديدات التي كانت تتصاعد؛ فمن حرمانه من التحلية (متأخر جداً!) إلى حرمانه من العطلة الصيفية (مبكر جداً!)، وكان "الزئبق" ينظر إلى الباب وينتظر

اللحظة التي سينكسر فيها القفل وينصب جام غضبهم عليه. فتراجع إلى الخلف مبتعداً عن الباب حتى لا يقع على رأسه في حال تحطمه. وفي هذه اللحظة شاهد "الإعلان".

كان والده، والحق يقال، لا يتعاطى السياسة، ولم يكن ينتمي إلى حزب سياسي معين؛ لكن كانت له أفكاره التي يدافع عنها ولا يأبه لنشرها والجهر بها. وكانت قد جرت في الشهر الماضي انتخابات لتعيين رئيس الجمهورية؛ فاختار الأب مرشحه، وقام بالدعاية له في كل مكان تقريباً، وعلق صورة كبيرة له في صدر مكتبه، وتم انتخاب هذا المرشح بالذات رئيساً للجمهورية، إما بالمصادفة، أو بفضل جهود الوالد... وربما لسبب آخر لا يعلمه.. وهكذا أصبحت صورة هذا المرشح هي صورة رئيس الجمهورية.

كان "الزئبق" لا يتعاطى السياسة قط، فهو لا يعرف مثلاً متى خُلع ملك فرنسا، أو أن ذلك قد تم مرات متعددة... ولم يخطر بباله من قبل أن يطلب من رئيس الجمهورية أن ينقذه من ورطة مع والديه، لكن الآن، ونظراً لأهمية الظروف التي يمر بها، والوضع المتوتر الذي يعيشه، فقد كان بوده أن يعرف إذا كان منظاره يملك.. مقدرة سحرية على الإعلانات الانتخابية كالتي يمارسها على الإعلانات التلفزيونية.

فأمسك به ورفعه إلى عينيه...

وعمل السحر عمله! وكان هذا دليلاً واضحاً وكافياً على أن الإعلان الإنتخابي يعادل دعاية تلفزيونية جيدة. وأخذ المرشح الذي صار رئيساً للجمهورية يتحرّك ويبتسم وقد عادت إليه الحياة....

ثم خرج من الصورة، وأخذ شكله الطبيعي في غرفة المكتب.

ووقع "الزئبق" فريسة شعوره بالضيق والحرج من الضجة التي كانت تصدر من الغرفة المجاورة.

– هم م م. قال ببساطة.

– يا صديقي الصغير – قال الرئيس بصوت دافئ– من الأفضل أن نفتح باب المكتب، وإذا اقتصر الأمر على مطالبة بسيطة فسوف نقوم باللازم.

فتح "الزئبق" الباب، فاندفع إلى المكتب عشرات الأشخاص ، ووقع بعضهم



– والدروس؟ هل أنا التي سأدرسها عنكم؟

لم يكن باستطاعة "الريشة الخفيفة" الرد على هذه الأسئلة، لأنهم وعلى أية حال، لم يتركوا لها فرصة للكلام، ثم إن الإجابات التي كانت ستعطيها ستزيد الأمر سوءاً. وما لبثوا أن أمسكوا بها، وراحوا يشدّونها ويتنازعونها، ويدفعون بها، وحاولت، دون جدوى، في أثناء هذا الهياج أن تجد عذراً مقنعاً أو سبباً كافياً لتبرير تأخرها، خاصة وأنها أقسمت على كتمان السر حول نشاطات "قبيلة الخمسة".

وبعد أن كانت الحمامة قد هربت عند قدوم الزمرة المتوحشة، عادت تحوم حول "الريشة السريعة". ورأتها السجينة المسكينة.

صاحت الريشة السريعة دون أن يسمعها أحد:

– آه، يا حمامتي!

فحطّت الحمامة على كتفها، وكان الفريق الهائج قد وصل إلى وادٍ مضيء، فشاهدها الجميع.

– حمامة! من أين أتت؟

– هل هي لك؟

– أين وجدتها؟

– ياه، ما أجمل هذا الطير؟.

وتوقفت فرقة الخيالة، وقد أغشى الطائر البديع عيونهم، ونسوا تقريباً الفتاة الصغيرة وعودتها المتأخرة، وحاول كل منهم تناول الحمامة أو مداعبتها أو التحدث إليها أو إمساكها أو إيقافها على أصابعه؛ ولكنها في كل مرة كانت تهرب وتعود لتقف من جديد على كتف أو رأس أو سبابة "الريشة السريعة". وهكذا تحولت المعركة إلى عيد كبير، وعاد الجميع إلى المدينة، دون أن يفكر أحدهم بالأسباب التي دفعتهم إلى الذهاب إلى الغابة.

صعدت "ساندرين": "الريشة السريعة" إلى منزلها، ترافقها الحمامة التي قررت الإقامة على زاوية مائدة الطعام، وكان هديلها الجميل واصطفاق جناحيها وقفزها من مكان إلى آخر، يستأثر بألباب واهتمام العائلة بأكملها.

وبينما كان الأهل والإخوان والأخوات يلعبون مع الطائر حضرت "الريشة

السريعة" الطعام لنفسها، وأكلت بنهم، وشاهدت التلفزيون حتى آخر نهاية الإرسال، ثم ذهبت لتنام، ولم يكلمها أحد بعد ذلك أو يسألها عن سبب فرارها.

وبدا جلياً أن الجميع قد نسوا هذا الموضوع.

كان اليوم التالي يوماً عادياً في المجمع الدراسي "كورنتين -كلايبون" وعندما انتشر التلاميذ في ساحة المدرسة، قبل دروس الفترة الصباحية، اجتمع أفراد "قبيلة الخمسة" في ركنهم الصغير المفضل، بعيداً عن أعين وآذان الفضوليين، ثمّ لاذوا بالصمت إزاء أحداث الليلة الماضية، و اكتشافاتهم السحرية وعودتهم غير المألوفة؛ وذلك لأنهم لم يتجرؤوا على الحديث عنها، ولم يتصور أي منهم أن السحر الذي ساعده قد امتد ليشمل رفاقه الآخرين، واعتقد أنه الوحيد الذي يملك قوة سحرية فريدة في نوعها، وإن بقي مصدرها مبهماً عليه، ولم يرَ أنه من الضروري كشفها للآخرين، خوفاً من أن يسخروا منه أو أن لا يصدقوه.

دخلوا الصف وبعضهم يتغامز مع بعضهم الآخر، وقد قرر كلٌّ منهم، في قرارة نفسه، أن يستعمل سحره، وأن يكشف عنه لرفاقه لاحقاً، بعد أن يكون قد أثبت مفعوله.

ونتيجة هذا الالتباس، فقد أجمعوا، دون قصد، على ضحية بريئة واحدة هي السيدة "بلوشون"، التي كان عليها أن تفتح عينيها إلى أقصى مدى حيث بدتا كصحون صغيرة، وأن تتساءل مرات عديدة طوال هذا الصباح عما إذا كانت قد فقدت عقلها فعلاً؛ وذلك لأن كل الألاعيب التي ابتدعوها كانت لشدة إدهاشها تؤدي حتماً إلى مثل هذه النتيجة.

بدأت الأحداث بلعبة من "فأرة السم"، عندما طلبت منها المعلمة أن تسمّع درسها، واكتشفت هذه الأخيرة أن الفأرة ليست في الفصل، فقد كان مقعدها في الصف الثاني خالياً، ثم اتضح أن هذا غير صحيح، لأن "فأرة السم" كانت تلقي قصيدتها من مكان ما من الفصل، دون أن يتمكن أحد من تحديده بالضبط، وعندما انتهت من إنشادها شوهدت واقفة أمام السبورة تبتسم وهي تنتظر الحصول على درجة جيدة.

لقد أسمعت الدرس دون أدنى خطأ، لكن السيدة "بلوشون" كانت قد فقدت صوتها، وعادت "فأرة السم" إلى مقعدها، وتعثرت في طريقها بين المقاعد بحقائب التلاميذ المرمية على الأرض، ووقعت، وعندما حاولوا مساعدتها على النهوض لم يجدوها، ونادتها المعلمة التي بدأت تستعيد شيئاً فشيئاً صوتها عدة

مرات، ففتح باب الصف، ودخلت "فأرة السم" وهي تتمتم بضع كلمات تعتذر بها عن تأخرها! وجلست أخيراً في مكانها ولم تتحرك بعد ذلك.

رفعت السيدة "بلوشون" رأسها، ووجدت أن الطقس حار؛ فأعطت إشارة لفتح النافذة، ولكن هذا لم يصلح الموقف إذ أخرج "الزئبق" من جيبه منظاره، وأخذ يراقب الطريق.

وعندما أرادت المعلمة أن تصادره، سُمِعت في الخارج صيحات ومناقشات حادة، وانتهى الأمر بجلبة شديدة، فاندفع التلاميذ إلى النافذة، واستطاعت المعلمة بعد جهد كبير، أن تلقى نظرة "ضرورية" على الشارع، من فوق أكتاف الجميع.

كان الجدار المواجه للمدرسة مغطى بالإعلانات الدعائية وأصبح مكانها الآن عبارة عن حفر كبيرة تخرج منها إلى الطريق أنواع متعددة من الشخصيات تنبع من الإعلانات التي كانت ملصقة عليه. فهذا نوع من عصير الفاكهة الغريبة، يستحضر بالصور مباهج حمّامات البحر، ويرمي في الشارع "مجموعة صناعية" من النساء اللواتي يرتدين "مايوه البيكيني" والنظارات الشمسية، من ذوات الابتسامات الحارة واللون البرونزي، وهن يشربن عصير الفاكهة بوساطة المصّاصة/ قشة المص/.

وما كنّ ليصدرن هذه الضجة الكبيرة لولا أن إعلاناً مجاوراً تحرر في اللحظة ذاتها مطلقاً حشداً فوضوياً من ميكانيكي السيارات الفخمة، مكلّفاً بتعريف المارة على نوع من زيوت السيارات ذي مواصفات فريدة في نوعها، وقاموا، فعلاً؛ بصب محتويات الصفائح التي يحملونها على قارعة الطريق، مما أدى إلى انزلاق النساء "بالبيكيني" وارتفاع الصيحات والمناقشات التي لفتت انتباه الصف ومعلمته.

كانت هناك إعلانات أخرى. وقع نظر "الزئبق" الحاد على إعلان لنوع من الأجبان، معروض مع مجموعة فلاحين يرافقهم قطيع من الأبقار، وجاء هذا الجمع البديع لينضم إلى الجمهرة، وطغى خوار البقرات ورنين أجراسها على جميع الأصوات الأخرى، بينما كان الجميع يلوصون، بمرح، بالزيت اللزج، وينزلقون عليه بأيديهم وأرجلهم أو على ظهورهم، وهم يحاولون بيأس التمسك بمقاعد جلدية كان بعضهم قد انتزعها من إعلان "كل شيء للمنزل!"

وحضروا بعد ذلك عرضاً مدوياً لمطاحن كهربائية تطحن البن، ولرحلة طيران تزلجية مقززة لدراجات يابانية، ثم شاهدوا عرضاً لحشد متشابه من

صور للأم "دينز" وهن يمشين بخطا متزنة وقد اصطفت كل ثلاث منهن مع بعضهن، وكل واحدة تدفع أمامها عربة وضعت فيها الغسيل النظيف.

وبعد قليل، نُثِرَ نوع من مسحوق الغسيل على الأرض، مما أدى إلى امتصاص زيت المحركات فوراً. وهكذا، احتشد كل تلاميذ المدرسة على النوافذ، من الصف الأول الابتدائي حتى الثالث الثانوي، وكانوا يصفقون فرحاً لكل مشهد من مشاهد العرض.

وانتهت الفترة الصباحية بعرض لعصابة من السُكارى الذين استولوا على محتويات إعلان دعاية للخمرة والكحول.

ضبطت السيدة "بلوشون" أعصابها، واستجمعت شجاعتها، بعد أن أغلقت نوافذ الصف، وقررت إعطاء درس في الرياضيات، مع أنها كانت تتوقع مواجهة صعوبة كبيرة في تنفيذ ذلك.

كانت مهمة الشخصيات التي حررها واستحضرها منظار "الزئبق" السحري هي تقديم المساعدة لمن أطلق سراحها. وما دامت قد بقيت في الشارع فإنها لن تشكل سوى عرض رائع. ولكن العكس هو ما حصل، بعد أن دخلت واحتلت ساحة المدرسة. وقد جرى ذلك في فترة فسحة الظهيرة تماماً؛ فعندما نزل التلاميذ والمعلمون إلى الباحة وجدوا أنها قد تحوّلت إلى ساحة معرض حقيقي، حيث خصصت كل شركة لنفسها منصة، وعرضت عليها منتجاتها، وكان الإقبال على منصة "البيكيني" شديداً، مع أنها لم تكن للبيع، واندفع الجميع نحو منصات بيع عصير الفاكهة، والأجبان، وكذلك إلى منصة بيع نوع جيد من السكاكر.

اشترك الأساتذة والمعلمون والمدير في هذه الهستيريا الجماعية، وراحوا يجربون السيارات الجديدة، والدراجات والمقاعد والثلاجات وفراشي الأسنان وأجهزة التلفزيون، وأبسط من ذلك بكثير، كان كل أنواع "بيرة الألزاس". يا للخسارة! لم يكن هناك شيء يوزع مجاناً كل شيء كان للبيع، وسال لعاب التلاميذ أمام الحلويات المعروضة، ولم يكفِ مصروف الجيب الذي كان يحمله بعضهم إلا ليطفئ عطشهم الفتي في الخمس أو العشر دقائق الأولى من الفرصة.

وحانت ساعة عمل "كوكا كولا"!

خلال الفترة الصباحية، وفي ظل مقعده، كان "كوكا كولا" قد صنع، سراً،

مجموعة من الأوراق النقدية من فئة المئة فرنك. فصعد بسرعة لإحضارها، ولما عاد كان يحمل حقيبة مليئة بها.

جلس في ركن من أركان الباحة وراح يوزعها واحدة تلو الأخرى لكل من كان يطلبها، وبما أن "كلاً منهم" كان يريدها، فقد أصبح، خلال ربع ساعة، التلميذ الأكثر شهرة ضمن فريق مدرسته، وعندما انتهى مخزون الأوراق، وقد حصل هذا بسرعة، كان عليه أن يصنع أوراقاً أخرى من جديد، وظل يفتح ويغلق، دون توقف، جزدانه العجيب الذي صار قفله يحرق أصابعه.

استطاعت السيدة "بلوشون" أن تبقى بعيدة عن هذا "المستنقع" الإعلاني، ووقفت كالتمثال في أعلى السلم، وأخذت تنظر بدهشة كبيرة ممزوجة بشيء من الاشمئزاز، إلى هذه المهزلة المجنونة الصاخبة التي كانت أحداثها تدور تحت قدميها. ولم تقم بشراء أي شيء وعندما دق الجرس انتهاء الفرصة، كانت هي الوحيدة التي استطاعت أن تجمع تلاميذ صفها وكان "التمساح الشجاع" هو التلميذ الوحيد الذي تخلف عن ندائها، كان المدعوون "الخبراء" قد شاهدوا الكثير هذا الصباح ولم يساورهم شك في أمر غيابه.

بعد فترة قصيرة من بدء الدرس، سُمع طرق على باب الفصل، فتحت السيدة "بلوشون" الباب، فدخل المدير يتبعه رجل طويل في مقتبل العمر، ذو شارب وذقن، واتضح أنه المفتش الجديد للمرحلة الابتدائية، وقف الجميع لهما باحترام، ورسمت السيدة "بلوشون" على شفتيها ابتسامات عريضة، لم يكن ينقصها سوى إعلان جيد لمعجون أسنان.

انصرف المدير، وقام المفتش بطرح بعض الأسئلة على بعض التلاميذ في جدول الضرب وتاريخ فرنسا. وعلى الرغم من الأخطاء العديدة في إجاباتهم، حكم بأن هؤلاء التلاميذ يستحقون علامات جيدة جداً، وترتيباً "ممتازاً"، مما أدى إلى إثارة دهشة المعلمة. وربما كانت المصادفة البحتة، او أي شيء آخر هو الذي جعل كل التلاميذ الذين وُجهت إليهم الأسئلة ينتمون لهنود "قبيلة الخمسة".

وبعد ذلك، بحث المفتش في دروج مكتب المعلمة، حيث وجد كل الأشياء والحلويات والسكاكر المصادرة من الطلاب خلال الشهور السابقة، فنصح بإعادتها لأصحابها، مضيفاً بأن السكاكر يمكن استهلاكها الآن إذا رغب الأولاد في ذلك.

ورغب الأولاد في ذلك طبعاً!

وأخيراً، طلب المفتش من السيدة "بلوشون" أن تغني أغنية، وكانت هذه، من سوء حظها، نقطة ضعفها، هي التي تتمتع بميزات أخرى جليلة، وكذلك بمعرفة تامة وعميقة بقواعد اللغة والنحو. لكن هذه الناحية الأخيرة لم تكن لتلفت انتباه المفتش الجديد، الذي أصر على الغناء "الموسيقى -شرح هذا الأخير قائلاً- يجب أن تأخذ مركزاً كبيراً في حياة الفصل، ويجب أن تمارس مرات أكثر. بينما يجب أن تخفض ساعات القواعد، أو حتى.. تُلغى!"

كانت السيدة "بلوشون" ما تزال تحت تأثير زيارة المفتش الجديد المفاجئة لصفها، وكذلك تحت تأثير أحداث الصباح، فأصدرت أصواتاً ناشزة، فانفجر جميع التلاميذ بالضحك، من وراء كتبهم، حتى المفتش أيضاً أخذ يضحك، ثم شكرها بأدب وخرج.

وانتهت الفترة الصباحية بدرس موسيقى، بعد ذلك قام المفتش بزيارة فصول أخرى، وأخذ جميع تلاميذ المدرسة يغنون بأعلى صوتهم حتى الساعة الحادية عشرة والنصف.

وخرج التلاميذ إلى الشارع مثل المجانين، ولم يستطع أحد منهم أن يتناول وجبة غدائه، لأن السكاكر والحلويات والمشروبات التي اشتروها بفضل نقود "كوكا كولا" قد ملأت بطونهم، وقليل منهم من لم يعانِ من عسر الهضم في ذلك اليوم.

وفي بداية فترة بعد الظهر، عاد "التمساح الكبير" للظهور في المدرسة وكأن شيئاً لم يكن، مع أنه بدا عليه أنه كان على اطلاع كبير ومعرفة لزيارة المفتش التي لم يحضرها، وحضر أفراد "القبيلة" جميعاً، ولكن نسبة الغياب في الفصول كلها كانت عالية جداً.

ولم تأت السيدة "بلوشون" أيضاً، مع أنها لم تحشُ معدتها بالحلويات، انتظرها الجميع أكثر من ساعة، وعندما لم تحضر، فحص المدير نشرة الأرصاد الجوية، والبرامج المدرسية وكذلك المدرسين وقرر في النهاية أن تعطل المدرسة عطلة عامة هذا اليوم، قوبل القرار بتصفيق حار من الجميع.

مجلس السحرة

قال التمساح الشجاع: -حسناً! ليس هذا كل شيء!

يجب الاعتراف بأن بعض "الأشياء" التي حدثت كان غير عادي. وقد قام كل فرد من القبيلة بعمل ما، وبطريقته الخاصة، كما أعتقد، إذاً، ما فائدة النظر في الهواء ونحن نصفر، وأيدينا في جيوبنا، ناهيك عن أنه لا علاقة لنا بالموضوع!

كان "الهنود" قد اضطروا إلى ترك مكانهم المفضل، القريب جداً من االمغاسل حيث أصبح الجو خانقاً بسبب حرارة الطقس، وجلسوا بالقرب من سور الباحة الحديدي الذي يفصلها عن الأرض العراء، تحت شجيرات الجوز.

سأله كوكا كولا - مالذي تريد قوله؟

- أريد القول إن ما حدث هذا الصباح لم يكن مجرد حلم، لقد حدث كل شيء فعلاً كما رأيناه، ولا تزال معي بضع أوراق نقدية من أوراقك.

وأخرج الأوراق من جيبه وعرضها عليهم.

قالت الريشة السريعة: -هذا غريب، لقد أنفقنا كثيراً جداً من الأموال هذا الصباح، حتى أن رؤ ية هذا المبلغ الكبير لم تعد تؤثر فينا، عندما يحصل المرء على كل ما يريده، تفقد الأشياء قيمتها!

قاطعها التمساح الشجاع: -ليس هذا سؤالي!

إن الذي أريده هو أن يتكلم أفراد القبيلة الذين يملكون قدرات أو ألاعيب سحرية، ويخبروننا بها.

لقد أقسمنا على السرية والتعاون فيما بيننا، أليس كذلك؟

نظر بعضهم إلى بعض بحذر.

قال الزئبق: -ابدأ إذاً، بنفسك، هيا!

وتوجهت الأنظار نحو الرئيس، الذي شعر أنه مجبر على القبول، فأخرج بوقه وعرضه للمجموعة.

- هذا هو "الشيء"، عندما أنفخ بداخله، كيف أشرح ذلك... إنني أتحول بطريقة ما، بالأمس، تحولت إلى ضابط مباحث. وهذا الصباح أصبحت مفتشاً للمرحلة الإبتدائية. ودوِّنوا عندكم، ليس الشكل هو الذي يحدد الفرق بين مفتش مباحث ومفتش ابتدائي، وإنما طريقة التصرف والأداء.

قال الزئبق: - وكيف يعمل هذا "الشيء" يا ترى؟

- ومن أين لي أن أعرف؟ لقد اكتفيت بالنفخ ورأيت النتيجة، وهذا هو كل شيء، والآن أترك الكلمة لكم.

عندئذ أخرجت "فأرة السم" مرآتها، وعرضتها أمامهم، فتبادلوها فيما بينهم، واستطاع كل منهم بدوره أن يختفي عن الأنظار فترة.

شرحت لهم فأرة السم: - لا يكفي فقط النظر إلى المرآة، يجب أن تبتسموا أيضاً، لقد احتجت إلى وقت حتى اكتشفت هذا.

ثم أعطاهم "كوكا كولا" جزدانه الذي كان لا يزال يعمل بفاعلية كبيرة، وبكرم منقطع النظير، تماماً مثل الأمس واليوم.

- إن عمي لم يفهم شيئاً عن هذه الرزمة من النقود حتى الآن. إنه يتحدث فقط عن نيته تسليمها للشرطة، لكنه، في الواقع، رتبها في درجه.

- سوف ترى! إنه سيحتفظ بها لنفسه!

- ليس أكيداً. إنه، كما تعلمون، شخص غريب الأطوار ولا يمكن التنبؤ بما سيفعله إطلاقاً.

وبعدئذ، تحدث "الزئبق" عن منظاره، وعن الناحية الجيدة فيه التي يجب استغلالها، وعندما أراد الآخرون تجربته، رفض خوفاً من فوضى جديدة من دون جدوى، واعترف أنه لم يكن يعرف بعد مدى قدرات هذا الشيء.

قال التمساح الشجاع: -إننا نملك منذ الأمس قدرات غريبة.

كيف جرى هذا؟ ولماذا "نحن" ؟ إنني أتساءل! وأنتِ أيتها "الريشة السريعة" ما الذي نجحت في عمله؟

أجابت قائلة: - لاشيء. لم أحمل معي من السقيفة شيئاً

- يا للخسارة!

- نعم، ولكن، أستطيع الاعتماد عليكم عند الحاجة. لماذا يجب أن نكون جميعاً خارقين؟

- أنتِ على حق، أنا، على الأقل، سأعطيك من نقودي.

- وأنا سوف أجعلك تختفين عندما تريدين ذلك!

- وأنا سأجعلك تتحولين سيدة حقيقية!

- وأنا سأضع الإعلانات تحت تصرفك!

قالت الريشة السريعة: -أنتم لطفاء جداً، كنت أعلم أنني أستطيع الاعتماد عليكم. ويوجد لدي شيء آخر: هذه اليمامة:

- أية يمامة؟!

وظهرت اليمامة في السماء، وجاءت لتقف على كتف "الريشة السريعة".

قالوا معاً بصوتٍ واحد -ياه! جميلة جداً!

وانهالت كلمات المديح على الطائر من كل صوب:

- كيف جاءت في المرة الأولى؟

-هكذا! وحدها.

- وما هي الفائدة منها؟!

- لا شيء، لم آخذها من منزل "القبيلة"، لقد جاءت من تلقاء نفسها، ولا أدري إذا كان لها أي تأثير سحري، على أية حال، إنها تأتي دائماً، عندما ينادى عليها.

- هذا هو الأمر إذاً!؟

قال الزنبق: -إنني أتساءل، كيف يعمل السحر، إنني لا أومن به.

قال التمساح الشجاع: -السحر لا يمكن تفسيره، السحرةَ الكبار هم وحدهم الذين يعرفون هذا!

- إذاً، لقد قمنا بالسطو على منزل ساحر دون أن نعلم.

- هذا خطر كبير.

- ربما كان يبحث عن أغراضه في هذه اللحظة!

- وربما يملك أدوات أخرى تسمح له باسترجاع ما أخذناه!

- سينتقم منا إذاً!

صاح التمساح الشجاع: -هدوء! ليس ضرورياً الخوف من لا شيء! إن الأشياء ليست كما تبدو دائماً، وهذا هو سر السحر.

- ما الذي تقصده؟

- إن ما أريد قوله، هو إنني عندما أنفخ في البوق مثلاً، فقد لا أتحوّل رجلاً في الواقع، إنما يكون ذلك بكل بساطة، عبارة عن تخيُّل!

- والآخرون الذين يشاهدونك؟ نحن، كما تعلم، ظننا أنك مفتش فعلاً هذا الصباح.

- أقصد أن الشعور الذي ينتابني، أستطيع نقله إلى الآخرين، هذا كل ما في الأمر، ألم تروا مشعوذاً أبداً وهو يقطّع امرأة داخل صندوق، ونصدق ذلك حقيقة، ثم تعود المرأة وتخرج وهي مكتملة الجسم.

- نعم، لكن تلك ألاعيب يتدربون عليها مئة مرة أو أكثر قبل تقديمها إلى الجمهور. بينما نحن، لم نفعل ذلك!

قال التمساح الشجاع: - لاريب في ذلك، لم أحاول شرح هذا لنفسي!

- وكذلك نحن لا نحاول شرح غياب السيدة "بلوشون" عصر هذا اليوم.

- آه، وهذا أيضاً يمكن تفسيره، لقد عانت من انفعالات عديدة هذا الصباح!

- وبما أننا، بشكل أو بآخر سحرة... (أو مشعوذون وهذا الوصف ينطبق على الهنود أكثر)، فأعتقد أنه يجب علينا أن نستغل هذا؛ لأن مثل هذه النعمة لا تدوم طويلاً، وبما أن السيدة "بلوشون" قد أكرمت جيداً أقترح أن ننتقل للسيد

"مطراق"!

– ومن يكون؟

– إنه حارس البناية عندنا. وهو شخص أحمق، وأنا أدين له بعلقة من كل اثنتين، إنه دائم التجسس علي، لقد لعبت عليه مساء أمس لعبة، لكنها تُعدّ ترّهة قياساً إلى ما يستحقه. أقترح أن نخرج له هذا المساء أحسن ما لدينا.

– سوف يكون الأمر مسلياً!

– طبعاً! خاصة وأننا نعرف الآن إمكانيات كل واحد منا.

قالت فأرة السم: – أستطيع أن أطرق جميع أبواب البناية دون خوف.

أضاف التمساح الشجاع: –وأنا أستطيع أن أثيره، ثم أُشبعُهُ ضرباً.

– وأنا أستطيع أن أخبّئ عنده كمية من المال ثم أبلّغ الشرطة عنه.

صاحت الريشة السريعة –برافو! لا أشعر بالأسف إلا لشيء واحد فقط: إن قدراتكم السحرية لم تستطع أن تجلب لكم شيئاً من الذكاء، من المؤكد أنني لن أجد أولاداً أكثر حماقة منكم، وأحب أن أقول لكم إن روح الدعابة هي التي تنقصكم!

قال الزئبق: – معها حق، علينا إيجاد أشياء أكثر تسلية.

قالت فأرة السم وهي تتنهّد:

– وبعد ذلك، سوف نهتم قليلاً بالحيّ الذي أسكن فيه. هذا ما آمله، يجب أن أثأر لنفسي.

قال التمساح الشجاع عند نهاية الإجتماع:

– سوف يكون لكل واحد منكم دوره.

وبانتظار ذلك، أقترح عليكم أن تذهبوا وتلعبوا مع باقي التلاميذ حتى ساعة انتهاء الدوام، وبعد ذلك، سوف نجتمع من جديد. توجد هنا آذان تسترق السمع إلى ما نقول!

تركوا المكان وتفرقوا في الملعب، وعندما اشتركوا في الألعاب التي كانت قد نظمت، وجدوا صعوبات بالغة في حفظ السر، وعدم استعمال السحر للفوز

على الآخرين، فـ "فأرة السم" التي شاركت في لعبة "التخباية"، كانت تود لو استطاعت استعمال مرآتها السحرية، و "التمساح الشجاع" كان يود أن يكبر ويطول عدة سنتيمترات لكي يكون صقراً أكثر فعالية.

و "كوكا كولا" كان يرغب في شراء كريّات جديدة فوراً، عوضاً عن التي كان يفقدها باستمرار أثناء اللعب.

ولكن الجرس دق، وقفز "الهنود الخمسة" خارج سور المدرسة وهم يصيحون فرحاً، وانطلقوا في غبار الطريق.

السيدة « بلوشون» تسبّب مشكلة

انطلق الأصدقاء بسرعة كبيرة نحو "منزل القبيلة" في الغابة، تاركين وراءهم تلال القرميد الحمراء للمجمع الدراسي "كورنتين -كلابيون". وكان عليهم أن يسيروا صفاً واحداً، وسط الجبال البرية بين البرج "ف" والبرج "ج" ثم داروا حول قلعة "جول فيري" ومساكن الطاحونة الصفراء المخيفة: أماكن تجمع الوجوه الشاحبة العملاقة والمريبة؛ حيث يقف خلف كل نافذة جاسوس. ثم ساروا بمحاذاة "مناجم الخير" التابعة للمركز التجاري، ودخلوا أخيراً غابة "سان أناتول" المقدسة.

لكن القدر كان قد خبأ لهم وجهة مختلفة!

عندما وصلوا إلى المركز التجاري، وجدوا عند مدخله حشداً كبيراً من الناس، فوقفوا صامتين. ثم اقتربوا بهدوء واكتشفوا وجود سيارات إطفاء وإسعاف، وآليات عسكرية. وكان بعض رجال الشرطة يركضون فوق أسطح المباني المجاورة.

قال الزئبق: - لقد حدث حريق!

أضافت فأرة السم: - ويوجد مصابون!

قال التمساح الشيخ: - لم تحزروا- إنني أعتقد أن الأمر مختلف تماماً. انظروا: هناك رجال على أسطح المباني، وهم مسلحون...

سرت قشعريرة في جسد كل واحد من الخمسة، وثار لغط في صفوف المتفرجين.

قال كوكا كولا: - وماذا تعتقد؟

والتفتت سيدة من بين الجموع إليهم، وقالت:

– إنها عملية سطو على البنك، وعندما لم يستطع اللصوص الهرب، تبعاً لمخططهم، احتجزوا خمسة رهائن. اذهبوا من هذا المكان، ليس لكم شيء تفعلونه هنا.

سأل الزئبق: – هكذا إذن!... منذ متى.؟

– منذ الثانية عشرة ظهراً.

– أوه! وهل هم محتجزون منذ ذلك الوقت؟

– طبعاً، والآن هيا، اذهبوا من هنا. أكرر فأقول إن هذا ليس من شأنكم.

قال التمساح الشجاع: – ليس هذا من شأن أحد. اذهبي أنتِ إذا شئتِ.

ولكن المتجمهرين كانوا قد لاحظوا وجودهم، وبدا عليهم الغضب:

– لا مكان للأطفال هنا!

– هذا خطر! اذهبوا

– ألا تفهمون؟!

وبالفعل، بدأ رجال الشرطة يبعدون الناس، واضطر أفراد القبيلة للتراجع قليلاً، وهم يتابعون الموقف بتأثر بالغ.

قالت الريشة السريعة: – إن هذا يشبه أفلام التلفزيون.

– بسرعة! لنعد إلى منازلنا لنرى ما الذي سيحدث.

أمر التمساح الشجاع: – ليهرب كل واحد بجلده! سوف نهتم بأمر "الأب مطراق" فيما بعد. سوف نجتمع مجدداً بعد حصولنا على معلومات جديدة عن الحادث.

وعند هذا الحد افترقوا. وركضت "الريشة السريعة" نحو منزلها، واندفعت داخل المصعد، وقرعت الجرس، فتح أخوها باب البيت.

– مرحباً يا "ريشة الذيل"، تبدو عليك العجلة!

– ابق مهذباً ما دمت لست جذاباً!

– ماذا؟ لم أقل شيئاً خطيراً.

– سوف نتناقش في هذا فيما بعد. هل علمت بما حصل؟

– بماذا؟

قالت الريشة السريعة: – بقضية الرهائن؟

– لا شك، الجميع على علم بذلك.

– أين والدتي؟.

– عند الجارة، ولكن لا تنفعلي هكذا! إن وجبتك الخفيفة تنتظرك في المطبخ.

– وماذا تفعل عند الجارة؟

– ذهبت لتتحدث حول مشكلة الرهائن.

– هل تعرف كيف حدث ذلك؟ هل هناك قتلى؟ هل بينهم أشخاص نعرفهم؟ هل هرب أحد من اللصوص؟

هل رأى أحدهم ما يحدث في الداخل؟ وفي أي بنك حدث هذا؟ قص علي الذي جرى بدلاً من أن تجلس هنا دون فائدة.

– إيه! أووه! ضعي ريشتك في حنجرتك وأقفلي فمك قليلاً! وإذا تركتني أضع الريشة لكِ بنفسي، فسوف أتلو عليك آخر الأنباء. إنها تخصك كثيراً! اجلسي يا عجوزي!

ذهبت الريشة السريعة وأحضرت خبزاً وشوكولا من المطبخ، وجلست أمام أخيها، ووضعت اللقمة الأولى في فمها: –إذاً؟

قال الأخ: إليك القصة، في البداية اعتقدنا أن السطو تم على البنك الموجود في المركز التجاري.

وهذا خطأ، إن عملية السطو تمت في سوبر ماركت "الأسعار المتورّمة"؛ كانوا ثلاثة لصوص، وقد جاؤوا لسرقة الخزينة، وباختصار، لم تجر الأمور حسب مخططهم، فاضطروا لاحتجاز خمسة رهائن، وهم الآن يطالبون السلطات بفدية لا أعرف قيمتها بالضبط وبسيارة مليئة بالوقود.

– لماذا لم يسطوا على البنك؟

- لاأعرف ما هي مخططاتهم، لكنني أعتقد أن السوبر ماركت المذكور لا يتمتع بحماية مثل البنك.

- وهل تعتقد أنهم سيقتلون الرهائن؟

- لا! أتمنى ألا يفعلوا ذلك، لأنك سوف تجدين صعوبة في إنهاء عامك الدراسي، إذا وصل الأمر إلى هذا الحد!

- إنني لا أرى علاقة بين الأمرين؟!

- مع أن العلاقة كبيرة جداً. تمسكي بمقعدك جيداً:

يوجد بين الرهائن الخمسة الذين كانوا يتسوقون وقت الحادث مدرّستك، وصغيرتك السيدة "بلوشون" العزيزة، والتي هي حبك الأكبر السيدة "بلوشون"!

صاحت "الريشة السريعة" وهي تنهض وتوقع خبزها والشوكولا:

- ماذا؟ ماذا نقول؟

- حسن... نحن لا نريد ذلك، لكن هذا ما حدث كانت السيدة "بلوشون" تشتري حاجياتها، ثم، هكذا...

- السيدة "بلوشون"! أوه، هذا مريع!

- ليس مريعاً أكثر أو أقل منه للآخرين، اذهبي!

همست "الريشة السريعة" من جديد وهي تعود إلى الجلوس: - السيدة "بلوشون!"

- قولي إنك لا تريدين أن يغمى عليك؟

- السيدة "بلوشون"! ولكن.. ليس لهم الحق في أخذها منا.

- حسن، هذا لا! ليس لهم الحق في ذلك، لكن، كما ترين، إنهم يأخذونها مع ذلك.

- هذا مخيف! إذا لم يحصلوا على مبتغاهم فسوف يقتلونها!

- ومن أين لي أن أعرف؟

ودقت الساعة الموضوعة على المدفأة، وخيم على الغرفة صمت طويل.

ولم يُجب الأخ، وترك أخته تبكي سراً وهي جالسة على كرسيها.

قال أخيراً: - يجب عليك أن تنادي يمامتك!

تأوهت "الريشة السريعة": - أوه! وهي ترفع نظرها نحوه فابتسم لها وذهب.

صاحت الريشة السريعة:

- أيتها اليمامة! أيتها اليمامة! كان الطير، على ما يبدو، يقف بالقرب منها، وبعد أن صفق قليلاً بجناحيه، جاء وحط على كتفها، وفي هذه اللحظة تحديداً انجلت أفكارها، وبدأت تفكر بما يجدر القيام به، فإذا كانت هناك فرصة لأصدقائها كي يستخدموا قواهم السحرية بذكاء؛ فيجب أن تكون في إنهاء عملية احتجاز الرهائن هذه.

ودون أن تنتظر والديها لتأخذ رأيهما، ولثقتها الأكيدة بأنهما لن يخالفاها رأيها، انسلّت خارجة بهدوء من باب المنزل ونزلت الدرج مسرعة.

كان أفراد القبيلة الآخرون قد تلقوا الخبر في الوقت ذاته تقريباً. وكانوا مجتمعين فوق مربع "العشب الندي" بين موقف السيارات العلوي وساحة الملعب المخصصة للصغار، على بعد خمسمئة متر فقط من المركز التجاري.

سألت "فأرة السم"، بعد أن عرضت "الريشة السريعة" فكرتها عليهم:

- هل تعتقدون أنه سيكون بإمكاننا عمل شيء ما؟

قال التمساح الشجاع: - بالتأكيد. سوف نكسر رؤوسهم وننقذ السيدة "بلوشون"

- والرهائن الآخرون؟

-سيطلق سراحهم تلقائياً.

- إنك تنسى أنهم مسلحون، ولن يتوانوا عن إطلاق القذائف عليك حتى لو كنت متخفياً بزي رجال الشرطة.

قالت فأرة السم: - أستطيع الذهاب إليهم دون أن يروني.

ولكن هذا لن يساعدني في شيء على إخراج المساجين، إنهم لا يستطيعون الاختفاء مثلي.

قال الزئبق: - انتظروا! هذا أمر بسيط! أنتِ يا "فأرة السم" تدخلين متخفية، حسن؟ ثم تعطين المرآة للسيدة "بلوشون" فتختفي بدورها، وتتمكن من الخروج

قالت فأرة السم:

- وأنا؟ - ماذا سيحدث لي إذا فقدت مرآتي؟ وماذا سيفعل المجرمون مع الرهائن الآخرين عندما يلاحظون اختفاء السيدة "بلوشون"؟

قال التمساح الشجاع: -إم، إم م.... لقد أصبح الوضع صعباً ومعقداً للغاية.

قال كوكا كولا: -لكن، يجب علينا أن نتوصل إلى حل! إننا نمتلك وسائل لا يملكها أحد غيرنا، على كل حال، عندنا الوسيلة اللازمة لجمع الفدية وسوف أحملها لهم.

وافق التمساح الشجاع: -هذه بداية حسنة في التفكير بحلٍ، ولكن هذا لا يكفي، أعود وأذكّركم بأنه يلزمنا سيارة.

ثم إن المكان يعج برجال الأمن، ولن يطابق مخططنا تماماً المخطط الذي وضعوه هم.

قال الزئبق: -علينا أن نتصرف إذاً من وحي أنفسنا.

وتابعوا نقاشهم مدة نصف ساعة أخرى، وتدارسوا الأفكار ووجهات النظر التي أبداها كل واحد منهم؛ لكنهم لم يستطيعوا أن يحيطوا بجوانب الموضوع كاملة. واعترفوا، أخيراً، بأنهم لا يفقهون شيئاً بهذا الموضوع. وقرروا أن يرسلوا "فأرة السم" سريعاً إلى مكان الحادث لتتجسس قليلاً، ولتطلعهم بدقة على مجرى الأمر. لكن ذلك تطلب وقتاً أطول بكثير مما كانوا يتوقعونه.

اختفت "فأرة السم" وذهب مهرولة. شقت طريقها بصعوبة بين الناس المتجمعين، واضطرت إلى دفع بعضهم في طريقها مما أدى إلى حدوث مشاجرات عند مرورها، كان صف طويل من الشرطة يحرس مدخل "المركز التجاري" وبعد أن سارت بينهم في خط متعرج، تمكنت من الدخول إلى المكان وهي منفعلة قليلاً، وسارت، بعد ذلك، في الممر الخالي، ووجدت نفسها أمام باب

"المخزن" المضاء بأكمله ونوافذه مغلقة. وحاولت أن ترى ما يجري بداخله... ولما لم تجد أحداً أمامها، تجرأت ودفعت الباب ودخلت.

وعندئذ، سمعت صوتاً يقول:

- قف! مَنْ هناك.؟ لقد قلنا " لانريد أحداً في المخزن".

وسمع بعد ذلك صوت إطلاق ثلاث رصاصات، فتناثر زجاج النوافذ وتطايرت شظاياه، ولم تكن "فأرة السم" بعيدة كثيراً عن المكان، حيث جلست القرفصاء، بين صندوقين وهي تضم مرآتها الثمينة إلى صدرها بقوة وبكلتا يديها.

قال صوت آخر: - لاتقلق يا "ماركو"! لا يوجد أحد، إنه تيار هواء لا أكثر.

عندئذ، شاهدتهم "فأرة السم"! رجلان في مقتبل العمر، يحملان المسدسات، ويسيران في الممر الرئيسي، كانت ثيابهما مرتبة وغير ملثّمين: لا قبعة ولا قناع. لابد أن الإرهابي الثالث قد بقي قرب الرهائن حيث كان يجب عليها أن تذهب! فتبعت الرجلين إذاً، وقلبها يخفق بشدة، دون أن تصدر أي صوت.

واكتشفت مكان وجود الرهائن: لقد كانوا في ركن آخر من المخزن، قريباً من قسم الأغذية المثلجة، وتعرّفت على السيدة "بلوشون" وعلى سيدة شابة أخرى كانت تقيم معها في البناية ذاتها.

ورأت كذلك فتاة شابة أخرى ورجلاً مسناً، وسيدتين "متميزتين" أو أنهما كانتا كذلك قبل أن تؤخذا رهينتين، ولم تستطع أن تقدّر عمرهما.

كان الحزن بادياً على وجوههم جميعاً، وهم في حالة مزرية تماماً، وقد جحظت عيونهم وجمدت وهم يجلسون تحت رحمة "الحارس الثالث" وتهديداته، وينتظرون مصيرهم بصمت.

قررت "فأرة السم" أن هذا يكفي كمراقبة أولية.

فدارت بنصف دورة لتذهب وتقدم تقريرها للزعيم، وفي اللحظة ذاتها حصل ما لا تحمد عقباه وما لم يكن متوقعاً.

إن السير في حال الاختفاء ليس أمراً سهلاً كما يبدو للوهلة الأولى؛ إذ لا يعرف المرء أين هي قدماه أو رجلاه أو جسده...

تعثرت "فأرة السم" ووقعت؛ فسقطت منها مرآتها على الأرض وانكسرت... فصرخت صرخة رهيبة، اندفع على أثرها الرجال الثلاثة نحو مكانها.

- قف مكانك!

- لا تتحرك وإلا أطلقنا النار!

- اخرج من هناك! أظهر نفسك!

ولكنهم لم يجدوا إلا بقايا مرآة، وكانت "فأرة السم" لا تزال هنا على بعد ثلاثة أمتار فقط منهم، وقد رقدت على بطنها مختفية أكثر من أي وقت مضى، ومتعبة وخائفة من إصدار أي صوت جديد يعرّضها لإطلاق النار مرة أخرى، والأسوأ من ذلك أنها لم تعد تعلم إذا كانت ستعود للظهور بصورتها الطبيعية أمام الناس في يوم من الأيام.

كل شيء يسير من سيء إلى أسوأ

دمدم التمساح الشجاع وهو يدور على نفسه، ويداه معقودتان خلف ظهره:
-اللعنة، ما الذي تفعله هناك؟

-لا تقلق، يا رئيس، سوف تعود. الأمر ليس بسيطاً لهذه الدرجة، ولا شك أن أشياء كثيرة تحدث هناك

-لو أنها تحضر معها بعض السكاكر!

-والشوكولا!

-وحليباً مركزاً!

صاح التمساح الشجاع: -ماذا حدث لعقولكم؟ أبهذه الأمور تفكرون الآن؟

قال كوكاكولا: -هيا! لا تغضب كل الأمور سوف تُسوّى إنني، كما ترى، أحضرّ الفدية.

وفعلاً، كان جالساً يفتح ويقفل جزدانه دون كلل، ويحشو حقيبته بالأوراق النقدية، بعد أن بعثر كتبه، ودفاتره على الحشيش حوله.

قال الزئبق: -إنك تحاول دون جدوى لن تحصل أبداً على المبلغ كاملاً.

-ما هو المبلغ الذي طلبوه؟

-لا أعرف، ولكنني أعتقد أن عليك أن تعمل طوال الليل حتى يأخذ الأمر شكلاً جدياً.

صاح التمساح الشجاع: -كلا! هذه الكمية تكفي. لقد مللت! أعطني كل ما عندك، سوف أحمله إليهم.

-ببنطالك القصير هذا سوف يقدم لك صف الشرطة تحية الشرف

-ثق بي. سوف أتحول إلى مفتش ثم أذهب إليهم

-هذا ليس عدلاً!

تدخلت "الريشة السريعة":

-لحظة! لنفترض أنك أخفقت في مهمتك وسجنوك سوف نبقى بلا زعيم!

وبدا على الزعيم أنه اقتنع بهذه الحجة، وتأثر بها كثيراً:

-هذا صحيح! لم أفكر بهذا الأمر!

-ومن ناحية أخرى -تابعت "الريشة السريعة": هل من الصحيح أن نعطي المجرمين كل ما يطالبوننا به؟

خيم الصمت، ثم بدأت مناقشة حامية حول مسألة ما إذا كان يجب أن يخضعوا لمطالب الخارجين على القانون أم لا، لإنقاذ حياة إنسان، بعضهم كان يرى ذاك، وبعضهم الآخر يرى غير ذلك.

قال الزعيم جازماً: -هكذا لن نتوصل لشيء. سوف يذهب "كوكاكولا" ليحمل النقود بنفسه إلى المجرمين، وسوف أرافقه كي أقنع رجال الأمن بالسماح له بالدخول.

آه، وهكذا تكلم "التمساح الشجاع"!

التزم الجميع بأوامر الزعيم

وسرعان ما ظهر بالقرب من المركز التجاري مفتش مباحث أشيب الرأس وقد أمسك بيده ولداً صغيراً.

-المفوض "كوديل" -قال لقائد صف الدرك معرفاً بنفسه -جئت كي أبادل ابني بأحد الرهائن إن هذا متفق عليه مع هؤلاء السادة.

لم يكن "العريف" قد تلقى أية إشارة بهذا الخصوص، ولكن الدهشة أذهلته. ونجحت الخطة.

قبّل المفوض "كوديل" ابنه "كوكاكولا" قائلاً:

-اذهب يا ولدي! وحظاً سعيداً! إياك أن تنسى الحقيبة!

-اعتمد علي يا أبي

ودخل الولد إلى الممر الطويل المؤدي إلى المخزن ومعه حمولته الثمينة بينما توارى الزعيم عن الأنظار بين الجموع الغفيرة.

ومثل "فأرة السم" سار "كوكاكولا" في الممر، وقدم نفسه أمام باب المخزن، ودخل دون تردد. وبعد قليل، سمع صوتاً ضعيفاً يهمس قربه:

-"كوكاكولا"! أنت مجنون! ارجع بسرعة من حيث أتيت! إنهم مخيفون!

-وأنتِ، أيتها الفتاة الشبح، قولي لي أين أنتِ؟

-إنني على يسارك، بالقرب من الصناديق المسجلة، لم أعد أستطيع العودة إلى حالتي الطبيعية، لقد كسرت مرآتي بكل حماقة..

واقترب الحارس منهما بعد اكتشافه "الدخيل" وقال:

-هيه! هنا! اقتربوا أنتم! هنا، هيه! إنه ولد صغير! لا أصدق عيني.

-لا تطلق النار يا سيدي! إنني.. أحمل الفدية!

-الفدية؟ -قال الرجل الثاني- هل كسرت حصالة نقودك؟

أعطني هذه أيها الصبي الوقح!

وانتزع منه حقيبته.

-آه! معه حق هذا الصبي!

-إنها مليئة بالنقود

قال الآخر -أرني إياها! إنهم حمقى بالرغم من كل شيء! لقد أرسلوا طفلاً للقيام بمهماتهم! على كلٍّ، هذا شأنهم الخاص، أرسلوه ليوافي الآخرين.

صرخت السيدة بلوشون مذعورة:

-"أنطونيو"! ما الذي تفعله هنا؟

وهي تشاهد "كوكاكولا" قادماً نحوهم، بينما بدت عليه علامات السرور والفخر وهو يوزع عليهم ابتساماته، مما كان له أثر طيب في نفوسهم.

-لا تخافوا! سوف ينتهي كل شيء عما قريب!

-هدوء! صاح الحارس. لقد سبق وقلنا لكم "الكلام ممنوع" وبالفعل كاد كل شيء أن ينتهي، لكنها نهاية سيئة. إذ أنه بعد دقائق قليلة من تسليم الفدية، نادى أحد اللصوص على "كوكاكولا" وكان على ما يبدو أكبر اللصوص سناً.

-هيه! أيها الصبي الأفاق، تعال وانظر هنا قليلاً .

وقف "كوكاكولا"، وتسمر نظر الرهائن عليه، وقد توقفوا نهائياً عن الكلام.

-قل لي- تابع الآخر، وهو يقدم له رزمة من الأوراق النقدية -أين وجدت هذا؟ هيه؟هل ستقول لي؟! لم يتمكن "كوكاكولا" من شرح لعبة الجزدان السحري.

-حسناً، هل ستتكلم أيها الأحمق الصغير؟ أين وجدتها؟ تكلم!

ثم بدأ يهز الطفل بقوة وكأنه يهز شجرة خوخ

أخذ "كوكاكولا" يبكي، وقد أدرك الآن الموقف الحرج الذي زج نفسه فيه.

-اتركه! صرخت فجأة السيدة "بلوشون" بغضب. إنه طفل!

-طفل أم لا، إنه يتنزه ومعه نقود مزيفة!

قالت المعلّمة: -هذا ليس سبباً كافياً نستطيع توضيح الأمور

-لقد قلنا إنه ليس لكم الحق في الكلام!

-الحق؟ أي حق هذا الذي تتكلمون عنه! أتعرفون على الأقل ماذا تعني هذه الكلمة؟!

-إنها تعني لنا أنه باستطاعتنا الضغط على الزناد!

وقذف بوجه "كوكاكولا" كل النقود التي كان يحملها، وتابع موجهاً له الكلام:

-لملم حصادك. إن كل أوراقك تحمل الرقم نفسه. ألم تفكر بهذا! ولكن يلزمكم حيلة أكبر من هذه حتى تخدعونا، يا صغيري. ومع ذلك، أود معرفة الشخص الذي قام بطباعتها.

ردّ كوكاكولا: لن أقول شيئاً.

وحاول أن يحافظ على وعده، إذ أنه لم يتفوه إلا ببضع تأوهات عندما بدأوا

يلوون ذراعه.

زأرت السيدة "بلوشون" وهي تهجم على الرجال الثلاثة: -سوف تتركونه وشأنه.

-بهدوء، قلنا لك، وإلا أطلقنا النار

-هذا ما يجب أن تفعلوه قبل أن تلمسوا شعرة واحدة من رأسه. وسحبت من بين أيديهم "كوكاكولا" المسكين الذي نظر إلى معلمته نظرة مشدوهة.

قال التمساح الشجاع:

-هاهم قد أمسكوا باثنين من أفراد القبيلة! لقد حل الظلام، ولم يعد واحد منهما، لقد اتخذت قراري هذه المرة: سوف أذهب إليهم بنفسي.

صاح الزئبق: -كلا! قبل أن تفعل ذلك، علينا أن نجرب السلاح الأخير الذي بقي لدينا!

ودون أن يأخذ رأي الزعيم، وجد بعض الإعلانات أمامه فوجه منظاره إليها.. وأدى ذلك إلى نشر الفوضى والذعر اللذين كان ينتظرهما، إذ خرجت مئات الكلاب من إعلان عن غذاء للحيوانات، وهجمت على الجموع التي أخذت تتفرق هاربة وهي تطلق صيحات خوف متوحشة. ولكن الكلاب سرعان ما حوصرت من قبل لاعبي "رُكبي" كانوا قد أفلتوا من إعلان عن نوع أحذية لها مسامير.

كان الازدحام مروعاً، ولزم "التمساح الشجاع" بعض الوقت ليفهم حقيقة ما حدث، وما يتوقع أن يحدث.

-أيها "الزئبق"! أنت معتوه! سوف يقتلون الرهائن!

-لماذا؟ لقد أردت فقط إلهاء المجرمين لمساعدة الذين في الداخل.

-أوقف هذا أيها التعس! سوف يعتقدون أننا نشن هجوماً عليهم، وسيجهزون على الجميع! لا تلعب بالنار! أوقف هذا فوراً! إنني أرجوك.

قال الزئبق: هذا إنني.. لم أعرف قط كيف أوقف هذا الشيء.

-أيها الغبي! علي أن أفعل كل شيء بنفسي هنا! انظر من الجهة الثانية،

أيها المعتوه! سم -ترياق! يجب أن أفكر كما لو كنت أمثل عشرة أشخاص! أسرع! آمل ألا يكون قد فات الأوان.

أدار "الزئبق" منظاره، ونظر من الجهة المعاكسة، وكالعادة كان الزعيم على حق، إذ استدار الكلاب والرياضيون وعادوا إلى إعلاناتهم الخاصة بهم، وعاد الوضع إلى ما كان عليه.. لكن، ولسوء الحظ، نسي الصبي أن ينزل منظاره في الوقت المناسب وهو يتابع بعض الإعلانات التي بُدئ بتخطيطها، فتحولت بعض الأشياء، وبعض الأشخاص إعلانات ملصقة على طول الجدران المقابلة، مكونين بذلك إعلانات مستحدثة ترافقها شعارات غير متوقعة. وكان يمكن أن يتحول جميع سكان الناحية لو أن "الزئبق" نفسه لم ينجرف بهذا التيار الغريب.

قال التمساح الشجاع:

-حسن، إنني ذاهب.

هنا، قالت الريشة السريعة: مشيرة إلى إعلان عن أدوات بصرية كان الزئبق متربعاً على عرشها، وفرحاً ومثبتاً على الورق، وكان يمكن قراءة هذه العبارة في الأسفل: "مثل الشبيبة انظروا بعيداً".

نظر "التمساح الشجاع" إلى بوقه، فانقبض قلبه، وأسرّ للريشة السريعة":

-إنني آخر الناجين من خطر السحر، وأتساءل عما إذا كنت أملك الشجاعة الكافية لأنفخ في هذه الآلة دون أن أدري ماذا سيحل بي عندما أفعل ذلك.

قالت الريشة السريعة:

-يجب أن تتعلم كيف تستمر حتى النهاية.

افعل ذلك!! إنني أنتظرك هنا!

وتحول "التمساح الشجاع" إلى رجل مخيف، وقال "للريشة السريعة" قبل أن يذهب:

-ربما أُقتل تحت الرصاص، ولكنني مع ذلك مصمّم على الذهاب إليهم وملاقاتهم لأن هذا هو واجبي!

-إنك جميل جداً هكذا. أيها "التمساح الشجاع" إنني أحبك!

وأرسلت له قبلةً بيدها

وهكذا انطلق "التمساح الشجاع" في الغسق.

كان اختراقه صف الدرك لعبة مسلية. وعندما نفخ في بوقه السحري، تحول، دون إرادته، إلى شخص مهيب، فنظر إلى نفسه بفخر، وفكر في أنه يستحق أن يرفَع إلى رتبة مدير الشرطة القضائية. وبهذا "اللقب" الجديد دخل إلى المركز التجاري. وعندما فتح باب المخزن وقع على اللصوص الثلاثة الذين دهشوا، في البداية، من قامته الطويلة ولكنهم ما لبثوا أن استفاقوا من دهشتهم، وصوبوا سلاحهم نحوه، ووجهوا إليه الأمر بالانضمام للآخرين.

لقد أسيء فهم وتقدير التمساح الكبير ودرجة جنونه أغلب تقدير، لم يدرك أحد منهم مدى جنون "التمساح الشجاع" التي زادها حدة حجم قامته العملاقة وعقليته "المضروبة بعشرة " أمثال حجمه الكبير. فبضربة من حذائه ألقى بالأول أرضاً، وبضربة أخرى من قدمه اليسرى قذف الثاني نحو قسم المرطبات والمشروبات الروحية حيث هوى، وتلقى فوق رأسه صندوقاً كاملاً منها.

التفت "التمساح الشجاع" نحو الثالث، فاكتشف، لسوء الحظ، أنه يمسك بخناق "كوكاكولا" وقد وجه فوهة المسدس إلى صدغه قال المجرم: -توقف فوراً، وإلا جعلتك عنواناً على ثمانية أعمدة!

تسمر "التمساح الشجاع" في مكانه، وسرت قشعريرة باردة في ظهره. وخيم صمت مطبق برهة، قطعته صرخة مدوية: لقد تدخلت السيدة "بلوشون" وانتزعت "كوكاكولا" من بين أنياب الوحش وهي تنزع سلاحه بضربة واحدة. وتلا ذلك اضطراب بسيط، اعتقد خلاله الرهائن أنهم سوف يربحون المعركة. لكن هذا الشعور لم يدم طويلاً، إذ سمع إطلاق رصاص، سقطت السيدة "بلوشون" على أثره، وهي تمسك يدها اليمنى. فانبطح "كوكاكولا" أرضاً، واختبأ "التمساح الشجاع" خلف قسم أواني المائدة وقد فقد ثقته بنفسه، وهو يضم بوقه السحري بقوة إلى صدره.

ولدقائق قليلة لعبوا "لعبة التخبئة" وتطاير الرصاص بين الصحون، ثم سمع صفير "التمساح الشجاع" وهو ينفخ في الجهة المعاكسة من بوقه. لقد قرر الزعيم الهندي فجأة أن يتحول إلى طفل صغير، محاولاً بذلك تشتيت انتباه المجرمين، وتلطيف حدة التوتر قليلاً في الجو.

ولكنه نفخ طويلاً جداً، وتخطت النتيجة آماله: فبعد ثوان قليلة وجد نفسه طفلاً رضيعاً يحبو على البلاط وسط الممر. وسقط بوقه من يده، وتدحرج بعيداً عن أعين الجميع.

-هيه! ما هذا الشيء؟

-وخلال هذا الوقت استطاع الشرطي الفرار!

-ماذا سنفعل بهذه الجماعة من الأطفال؟

وعهد بالطفل إلى السيدة "بلوشون" لقد تحول "التمساح الشجاع" إلى تمساح صغير لا يملك حتى القدرة على التعبير لشرح وضعه!

وجاءت "فأرة السم" المختفية لتجلس أيضاً بالقرب من السيدة "بلوشون" وتحت جناح معلمتهم، جلس الأطفال ينتظرون تتمة الأحداث وهم يرتعدون خوفاً.

لم يبق طليقاً سوى "الريشة السريعة" التي لم تكن تملك أية قوة سحرية. وعندما فهمت أن "التمساح الشجاع" لن يعود أيضاً، نهضت وابتعدت عن "المربع الأخضر".

كان الليل يهبط، والازدحام شديداً أمام المخزن التجاري. ووصلت إلى الحواجز كاميرات التلفزيون وشاحناته ومعداته وصحفيوه. وكان الجمهور يتحرك ليفسح لهم مكاناً للتمركز. لكن "الريشة السريعة" لم تهتم بهذا العالم الصغير. وعادت إلى منزلها مطأطئة الرأس، حزينة القلب، مكسورة الخاطر. وفي طريقها، كانت تسمع أخباراً غريبة تتناقلها الألسن، عن أطفال جاؤوا، لا يعرف أحد من أين، ليزيدوا عدد الرهائن.

وفي اللحظة التي أرادت فيها "الريشة السريعة" وضع قدمها في المصعد، سمعت اليمامة ترفرف حول أذنيها، ودون أن تدرك بالضبط كيف غيرت رأيها، خرجت من البناية، كانت اليمامة تطير أمامها وكأنها تحاول أن تدلها على طريق لتسلكه، فتبعتها. وقادتها مباشرة إلى غابة "سان أناتول" ومع أن الليل كان شديد الظلمة، لم تشعر "الريشة السريعة" بالخوف إطلاقاً.

واهتدت إلى طريقها بسهولة عجيبة. وهكذا، وصلت بسرعة إلى منزل الغابة. ودهشت كثيراً عندما رأته مضاءً وبحالة جيدة جداً. صعدت درجات سلم

المدخل القليلة. ولمّا أرادت أن تطرق الباب انفتح من تلقاء ذاته!

دخلت "الريشة السريعة" إلى دهليز مؤثّث جيداً، ومزّين بقطع من السجاد الفاخر. ومشت عدة خطوات أخرى، فوجدت نفسها في قاعة استقبال فاخرة. لم يعد هذا هو المنزل المهجور نفسه الذي كان في الليلة السابقة. فقد أصبح الآن مسكناً فاخراً، مؤثثاً على الطريقة القديمة بذوق رفيع، وفي نهاية القاعة كان ثمة رجل في مقتبل العمر، يرتدي ثياب السهرة، ويجلس على أريكة، ويدخن سيجاراً صغيراً، وبجانبه، جلست امرأة ترتدي زياً أكثر تواضعاً، وهي تسند على ركبتيها ظرفاً لأدوات الكتابة، كانت تدون عليه ملاحظاتها.

قال الرجل بصوت مرح: -تفضلي، تفضلي، أيتها "الريشة السريعة" الفتية! ادخلي، ولا تخافي شيئاً!

لم تكن "الريشة السريعة" تعرف حقيقة الشخص الذي تتعامل معه، فترددت قليلاً وهي تقف على عتبة القاعة. مرت الحمامة فوق رأسها ودخلت الغرفة، وقامت بعدة جولات استطلاعية، مثيرة ضجة عالية. وأخيراً حطت على كتف "الريشة السريعة".

صاح الرجل: -ياه! ما أجمل اليمامة التي ترافقك. إنها جميلة، ومن نوع نادر جداً في أيامنا هذه، ولم أرَ مثلها قط في حياتي! هيا! تفضلي بالدخول واسمحي لي أن أقدم نفسي: أنا السيد "آلمبيق" وهذه مساعدتي الآنسة "كورنو".

ثم نهض، وانحنى انحناءة خفيفة مميزة جداً.

خطت "الريشة السريعة" عدة خطوات داخل الغرفة، دون أن تقترب كثيراً من الرجل الذي تابع حديثه، وعلى شفتيه ابتسامة،

-لا بد أن هذا المنزل يثير دهشتك. فالبارحة حين أتيت مع أصدقائك إليه، كان كل شيء في حال مزرية، هل تذكرين؟!

أومأت برأسها إيجاباً، وهي تشعر بالقلق خوفاً من أن تكون هذه الملاحظة بداية لتوبيخ عنيف. وتابع الرجل قائلاً:

-لنتحدث عن الوقائع. في البدء، أنا مندهش لرؤيتك وحيدة. كنت أنتظر زيارة الهنود الآخرين أيضاً!

تنحنحت الريشة السريعة وقالت:

-لديهم بعض المشاكل..

-أشك في ذلك. لكن، بما أنك أتيت وحدك، فهذا يعني أنـك الوحيـدة القـادرة على إعطائي النتيجة

-نتيجة ماذا؟

-على إعطائي النتيجة المعنية. سأشرح لكِ: في الليلة الماضية، يا صديقتـي العزيزة.. ولكن اجلسي!

وافقت "الريشة السريعة" أخيراً على الجلوس على أريكة كـانت اليمامـة قـد سبقتها إليها ووقفت على ظهرها.

-شكراً جزيلاً. تمتمت وهي تجلس

-حسن جداً، يا آنستي. الأمر هكذا أفضل للمناقشة. كنت أقول إنني سأشرح لك. تصوري يا صغيرتي "الريشة الصغيرة" إذا سمحتِ لي أن أناديك بذلك.. هل تسمحين؟ حسن، حسنٌ أوه!.. تصوري إننـي أدرس علمـاً فريـداً بعـض الشـيء. وهو فرع منسي تماماً من العلوم، وعليه أعدّ كتاباً كبيراً.. إنه.. كيف أقول ذلـك؟ سـوف تضحكيـن.. السـحر! هذا هـو: السـحر! إننـي أعد مؤلَّفـاً حـول السـحر والكيمياء! هل تعرفين هذا؟

أمـا عـن السـحر، فقـد كـانت معلومـات "الريشـة السـريعة" لا تتعدى بعض المشاهدات التلفزيونية لبعض السـحرة المشـهورين. ولكـن هـذه التسـمية الغريبـه "الكيمياء" لم تكن تعني لها شيئاً مطلقاً فـأخذت تتثـاءب، وهـذا لـم يزعـج محدثهـا بتاتاً:

-ولكتابة هذا المؤلَّف، علي أن أجري عدداً من التجارب.

ولهذا السبب أنا موجود هنا!

كانت "الريشة السريعة" تجول بنظرها في كل ما حولها تقريباً "فإذا كان هذا المشعوذ قد استطاع تحويل هذا المنزل خلال هذه المدة القصيرة، فذلك يعني أنـه قادر على تحصيل علامات ممتازة في دروس السحر والخير.. هذا الشيء الـذي كان يقوله".

وعلى ما يبدو، قرأ الساحر أفكار الفتاة الصغيرة، فشعر بالزهوّ، واستمر في إلقاء محاضرته:

-وهكذا، أيها الهنود الصغار الأعزاء.. لقد قمت بتجربتي معكم!

قالت الريشة السريعة: -معنا نحن؟!

-نعم. لقد سمعتكم الليلة الماضية في الأرض العراء، حيث كنتم مجتمعين. كنت جالساً على البرميل الفارغ، هل تذكرين؟

-أوه، نعم! لقد تذكرت ذلك الآن! لكننا عندما نظرنا إليك تركتنا وذهبت. ومع ذلك..

-أوه، حسناً، حسناً.. هذا صحيح.. وفي اليوم التالي وجد كل منكم شيئاً في السقيفة يطابق أحلامه التي عبر عنها بصوت عالٍ في اليوم السابق ليلاً.

-نعم.. وماذا أيضاً؟

قال الساحر: نعم يا آنستي! كنتم تتكلمون عن أحلامكم، وأنا عبّرت عنها بأشياء سحرية.

-وهكذا، لم يكن الأمر مجرد مصادفة إذاً؟

-بالطبع لا.

قالت الريشة السريعة: -هذا منطقي للغاية. لقد كنت أشك في ذلك فعلاً، فهذه القوى السحرية لم تأت وحدها. كان يجب أن يكون وراءها ساحر.

-طبعاً، طبعاً!

-وأنا أشهد على مقدرتك الفذة، لأنك صنعت جزداناً لا يفرغ أبداً.. على افتراض أنه من صنعك.

-نعم، كان ذلك من صنعي. ولكن، كما تعلمين. إنه سحر بسيط للغاية. يوجد أناس عديدون في هذا العالم لا تفرغ جزادينهم أبداً، كما يقال. وهذا ليس بفعل السحر. إنني لم أفعل سوى نقل وقائع حقيقية.

-والمرآة التي تخفي الناس؟

-الأمر نفسه: العديد من الناس يختبئون خلف قناع أو مظهر، حتى يظهروا

للذين حولهم بمظهر يختلف تماماً عن حقيقتهم، والاختفاء يشبه ذلك نوعاً ما.

-هذا صحيح! والمنظار الذي يحيي الإعلانات؟

-وهذا أسهل بكثير. إن هدف الدعاية هو الانتقال من الإعلان إلى الحقيقة، أليس كذلك؟ وما هي فائدة الإعلان إذا لم نجد عندنا أو في الشارع كل الأشياء التي يَعْرضها أو يُطْريها!

إنني لم أفعل شيئاً سوى إعطائها دفعة صغيرة!

-والبوق الذي يكبّر؟

-الشيء نفسه أيضاً! إن عملية النضج ليست عملية غير عادية إن هذا سيحدث لكل واحد منكم، على أقل تقدير، هذا ما أتمناه لكم. والآن، ما هو رأيك بأفكاري؟ إنها أفكار عبقرية ألا تعتقدين ذلك؟!

صاحت الريشة السريعة غاضبة: عبقرية؟ أفكارك أنت عبقرية؟ إنك الوحيد الذي يبدو راضياً عنها، يمكننا وصفها بأنها غير جيدة، لأن كل أصدقائي الآن واقعون في ورطة، أما بالنسبة لي، فأنا لا أعرف ما تخبئه لي هذه اليمامة التي أرسلتها فوق رأسي، وما إذا كانت من نوعية ألاعيبك الأخرى..

قال الساحر: أنا؟ هذه اليمامة.؟ ليس لي أية علاقة بها. إنها ليست لي.

-ليست لك؟ آه! أين ذهبت مرة أخرى؟

-إن هذا الطير لا يعنيني البتة، لا من قريب ولا من بعيد!

قالت الريشة الصغيرة بعد برهة- أريد تصديقك حقاً. إن هذه اليمامة ليست سحرية. على أية حال، لم تسبب لي حتى الآن أية مصيبة، وهذا فأل حسن.

-حتى لو افترضنا أن أصدقاءك الآن في ورطة، فإن هذا ليس بسبب سحري، بل بسبب استعمالاتهم الخاطئة له. وهذا ينطبق على جميع الاكتشافات العلمية في العالم أجمع. فهي تنطوي على الجيد والسيء، تبعاً لأخلاق الناس الذين يستخدمونها .

صرخت الريشة السريعة بعد أن استعادت شيئاً من شجاعتها.

-إن شعوذتك ليست علماً! إنها لا تستحق هذه التسمية. ثم إن أصدقائي لم

يكونوا مستعدين للقوة التي وضعتها بين أيديهم. لقد خدعتهم بها. وقد وقعوا في هذا المأزق ليس بسبب ذنب اقترفوه وإنما بسبب غلطتك أنت، وها هم الآن محتجزون مع الرهائن!

-هم، هم م.. هذا مؤسف حقاً، لكنني لست مسؤولاً عن ذلك من جهة أولى، وعلي أن أتابع تجاربي من جهة ثانية. أما زلتِ تسجلين ملاحظاتك يا آنسة "كورنو"؟

نعم يا سيد "آلمبيق".

-عظيم، عظيم، والآن سوف تقولين لي يا عزيزتي "الريشة السريعة" ماذا فعل كل واحد من أصدقائك بغرضه السحري وستبدئين من البداية.

-لن أقول لك شيئاً يساعدك!

-هيا، اهدئي قليلاً. إن هذا ضروري جداً لدراستي. علي أن أكتب تقريراً عن العلاقة المتبادلة بين الأفراد وعملهم السحري حتى نستطيع استخلاص وقائع ثابتة، وتحديد القاعدة الأساسية اللازمة لبناء تطور حضاري متوقع، ولإخراج الخيالات والهلوسات من عقول الأفراد والجماعات.

صاحت الريشة السريعة- هذا يكفي! هذا يكفي! يكفي! بينما أنت تصم أذني بحماقاتك، يوجد أناس يعيشون تحت خطر تهديد الأسلحة النارية، هل تعرف ذلك؟

-إيه.. نعم، أعرف ذلك.. ولكن اهدئي يا صغيرتي "الريشة السريعة".

-أنا لست "ريشتك الصغيرة، أيها العجوز. وبما أنك أنت الذي صنعت هذه الأدوات السحرية، فيجب أن تكون لك القدرة على إبطال سحرها. فضع حداً لهذه السخافات، على الفور!

-ليس الآن، إن هذا يمكن أن يشكل خطراً كبيراً، و..

-أنت هو الخطر بعينه! توقف حالاً!

-هذا مستحيل، حتى لو فعلت ذلك فلن يتحرر أصدقاؤك.

-إن هذا سيحرر الجميع، لأن كل ما حصل كان بسببك.

-ليس احتجاز الرهائن، بأية حال من الأحوال..

-بل نعم! إنه السحر ذاته! لقد شاهدتَ أصدقائي الصغار وراقبتهم كيف كانوا يتصرفون عندما كانت أدواتك السحرية بين أيديهم. كان يجب أن ترى بعينيك ما الذي كانوا يودون فعله بسحرك! الذي لم يكن في نهاية الأمر يختلف كثيراً عن أفعال المجرمين!

قال السيد "آلمبيق" وهو يبتسم بخبث: -إنكِ تحكمين عليهم حكماً رهيباً.

-إنني لا أحكم عليهم، بل عليك! إن سحرك أثقل قلوبنا جميعاً! والآن، إذا لم توقفه على الفور فسوف أخرج كي أفضحك أمام الناس.

قال الساحر متهكمّاً: ها، ها، ها! أيتها "الصغيرة الحمقاء"! إن أحداً لن يصدقك! ولا يستطيع أحد التعرف على السحر وهو يعمل، أو أن يشك في أمره. إن الناس يعيشونه دون أن يدركوا حقيقته. لا، إن أحداً لن يصدقك. ابقي هنا. عندي أشياء أخرى أقولها لك. وإذا لم تغيري موقفك فإن باستطاعتي تحويلك إلى ضفدع مهذارة مثلاً.

صاحت الريشة السريعة: كلا! كلا! النجدة!

وكانت الآنسة "كورنو" تضحك مقهقهة والدموع تنهمر من عينيها لشدة الفرح،

كاد السيد "آلمبيق" أن يختنق من شدة الضحك، وبدأ فعلاً يحرّك يديه في الهواء "بحركات شعوذة": ها، ها، ها، إلى ضفدع لاعب مهذار، ها، ها، ها.

تمتمت الريشة السريعة:

-أيتها اليمامة! أيتها اليمامة!

وفي اللحظة التالية، كانت على كتفها، وبدا كل شيء هادئاً، وتوقف السيد "آلمبيق" عن الضحك.

ودقت ساعة عمل « الريشة الخفيفة».

وها هي ذي الآن تركض في غابة "سان أناتول"، وهـي تحمل اليمامـة بين يديها وتضمها بكل قوتها. لم يعد منزل القبيلة موجـوداً، إذ أن السـاحر قد حـاول أن يحوّل "الريشة السريعة" إلى ضفـدع، كـي يتخلص منهـا ويستمر فـي إجـراء تجاربه بحريّة، ولكن اليمامة تدخلت وعرقلت تعاويذه وشوشتها. وفجأة، أحـاطت به غيمة دخان كثيفة، وأخـذ يتلاشـى شـيئاً فشـيئاً، حتـى اختفـى تمامـاً، وبـالطبع، اختفت معه سكرتيرته الآنسة "كورنو" والمنزل نفسه.

وعندما وصلت إلى "المركز التجـاري" كـانت جمـاهير الفضوليين لا تـزال تتزايد. وتساءلت عمّا إذا كان من الممكن جمـع عـدد كبـير كهذا مـن النـاس فـي مكان واحد لا يوجد شيء يفعلونه فيه!

لم تكن "الريشة السريعة" تملك الوقت الكافي لتفكـر فـي هـذه الأمـور، علـى الرغم من أهميتها، فاخترقت الجموع في ثانية واحدة، ولـم يعترضهـا أحـد وهـي تشق طريقها بين الزحام.. وحده صف الدرك أوقفها:

-أيتها الصغيرة، لا يوجد شيء تفعلينه هنا.

-اذهبي إلى منزلك .

-يجب أن تكوني في فراشك في هذه الساعة من الليل .

وتوقفت على بعد متر واحد من أقرب شرطي .

-قولي، يا صغيرتي، هل هذه اليمامة لك؟

-إنها جميلة جداً!

-لم أر مثلها قط!

-أين وجدتها؟!

وكالعادة، كانت اليمامة تثير الإعجاب. وبلطف، وضعت "الريشة السريعة" اليمامة على ظهر يد الدركي اليسرى، ثم دخلت إلى المركز دون أن يلحظها أحد. وهكذا، وجدت الفتاة نفسها أمام باب المخزن.

-أيتها اليمامة! أيتها اليمامة؟ سمعت اليمامة النداء فتركت يد الدركي وجاءت لتحط على كتفها. ودخلتا معاً إلى المخزن.

-هيه! تعال انظر! طفل آخر أيضاً. قال أحد المجرمين وكان يراقب المدخل لزميله.

واقترب الثاني.

-بشر في، سوف يتحول هذا المكان إلى دار حضانة! إن صف الأطفال الرضع سوف يأتي إلى هنا.

-وماذا تفعلين مع هذا الطير؟ أنتِ تعلمين أن هذا المكان ليس للنزهة!

-تعالي إذاً، واجلسي مع الآخرين

-سوف تسلينهم.

وجدت "الريشة السريعة" نفسها بين الرهائن. وتعرفت على السيدة "بلوشون" من بين الرهائن الآخرين الذين لم ترهم من قبل، وشاهدت ذراعها المربوطة بغلظة. وبجانبها "فأرة السم" التي عادت إلى حالتها الطبيعية، و"التمساح الشجاع" الذي عاد تلميذاً في المرحلة الابتدائية، و"الزئبق" الذي نزل من الألف إعلان وإعلان التي كانت تمثله ورجع إلى طبيعته البشرية، وكذلك "كوكاكولا" الذي أصبح فقيراً مثل يعقوب.

-لم تنجح وصفاتكم السحرية إذاً؟

قال الزئبق: لقد اختلطت الأمور بعضها مع بعضها الآخر ولم نعد نفهم ما يحدث .

قالت فأرة السم- حتى إني كسرت مرآتي!

قال كوكاكولا: وجزداني لم يعد يصنع قرشاً واحداً!

شرح التمساح الشجاع: -لقد كنا سجناء سحرنا. وفجأة توقف مفعوله وعاد كل شيء إلى طبيعته الأولى ولا أدري لماذا حدث ذلك!

قالت الريشة السريعة:

-أنا أعرف السبب: وقصت عليهم مقابلتها مع الساحر السيد "آلمبيق" وكيف انتهى أمره.

وأضافت قائلة: -وتم ذلك بفضل يمامتي. إنني لا أعرف من أين أتت، ولا كيف تعمل. لكنها مفيدة جداً. نعم مفيدة! وتوقفت عن الكلام مندهشة من اللصوص الذين أحاطوا بها بصمت وهم يتأملون اليمامة. وبعد لحظة شعرت بعيونها تحرقها، وبرأسها يدور، وفقدت الوعي.

استفاقت من نومها، في منزلها، وعلى سريرها، وصاحت قائلة: -أووه! لقد حلمت حلماً غريباً! فقال لها أخوها الكبير الذي كان يجلس بالقرب من سريرها:

-أي نوع من الأحلام؟

فجلست وقالت:

-صدقني إن أردت. إنه حلم سخيف للغاية، مثل أغلب الأحلام تصور أنني حلمت أنه جرى احتجاز رهائن في مخزن "المركز التجاري" أليس هذا مضحكاً؟ وكانت معلمتي محتجزة معهم. وأكثر من هذا، كان على كتفي يمامة..

-لم يكن هذا حلماً. قال أخوها بهدوء. لقد حدث كل هذا فعلاً.

-ماذا؟ هل تمزح؟ إذاً، لماذا أنا هنا؟!

-لقد انتهى الأمر الآن. لقد أطلقت "فرقة مكافحة الإرهاب" غازاً منوماً وأنقذتكم. وها أنت الآن قد استيقظتِ

-وهل حدث ذلك منذ وقت بعيد؟

-منذ يوم ونصف. عندما يتعلق الأمر بالنوم، فإنك تبالغين كالعادة!

-أوه! هذا يكفي، أنت!؟

-هيه! إنني لا أقول شيئاً من عندي. إن أصدقاءك الصغار استيقظوا جميعاً منذ الأمس، وهم الآن يركضون في الشوارع. لقد أرادوا نقلك إلى المستشفى لكن والدتك رفضت، وها أنت في غرفة نومك!

وظهرت الأم.

-أخيراً، يا حبيبتي! كيف تشعرين؟

-أحسن.

-لقد قلقنا عليك كثيراً جداً. أنت تعلمين..

-كيف حال الرهائن؟

-لقد تم إنقاذهم جميعاً، وهم بخير وعافية.

-والمجرمون؟

قالت الأم: -ماذا؟ المجرمون؟ هذا غير مهّم. لا أعرف لماذا تهتمين بمصيرهم..

-إنهم مهمون كالآخرين تماماً، يا أمي!

شرح لها الأخ: -إن أمك لا تريد إخبارك بأنه حدثت معركة جرى خلالها إطلاق للنار بين الشرطة واللصوص وقتل واحد منهم على الفور، وألقي القبض علىآخر، والثالث تمكن من الفرار.

رمقت الأم ابنها بنظرة معاتبة، وسكتت "الريشة السريعة" برهة، ثم سألت:

-ويمامتي؟ ماذا حل بها؟!

-إنها موجودة معنا، وهي تلتقط الحب قريباً من هنا.

قالت الريشة السريعة: -حسن سوف أنهض، يجب أن أرى السيدة "بلوشون"

قالت الأم: -مهلاً يا حبيبتي! يجب ألا تؤذي نفسك!

-إنها المرة الأولى يا أمي التي أسمعك تقولين فيها مثل هذا الكلام. لكن ليس لديّ رغبة في تنفيذ طلبك!

ونهضت من السرير بقفزة واحدة، وارتدت ثيابها، واختفت على الدرج. وضحكت الأم والأخ.

في "المركز التجاري" كان الناس يدخلون ويخرجون كما في السابق. لقد فتح المخزن أبوابه من جديد للزبائن. وكان الجميع يتدافعون إلى الصناديق.

-هيه، أيها الغول الكبير!

صرخت "الريشة السريعة" عندما شاهدت، من بعيد، صديقها الذي كان يجر عربة، ثم ركضت نحوه وارتمت على عنقه وقبّلته. قال التمساح الشجاع: ماذا يحدث لكِ؟

-إنني سعيدة برؤيتك!

-هذا جيد. أرى أنك لم تصبحي مغرورة جداً.

-أنا؟ مغرورة؟! ما الذي يجري؟

-ربما ستصبحين كذلك، لا أحد يعلم ما يخبئ الغيب، خاصة وأنك أصبحت الآن نجمة مشهورة!

-نجمة مشهورة؟ كيف هذا؟

-في الصحف لا يتحدثون إلا عنك وعن يمامتك. ألا تعلمين؟ لقد أجروا مقابلات معنا جميعاً، طبعاً ما عداك. وفي أثناء ذلك الوقت كانت "الآنسة" تغط في النوم. يظهر أن للنوم عندك مكانة خاصة جداً!

-ولكن.. عن أية صحيفة تتكلم؟!

-كل الصحف! خذي. انظري إلى هذه مثلاً.. لا على التعيين. وناولها نسخة من جريدة "فرانس-ماتين" "فرنسا صباحاً" ورأت صورة، التُقِطت لها وهي في المخزن. وقرأت بتمعن، التعليق الذي كتب تحتها، وعلمت منه أن كاميرات المراقبة في المخزن، كانت تصور المجرمين في أثناء احتجازهم الرهائن. وعندما وصلت "الريشة السريعة" استأثرت اليمامة بانتباههم، إلى حد أنهم أهملوا مراقبة المدخل، وهكذا تم تنويمهم ولولا تدخل هذه الفتاة الصغيرة الشجاعة، التي أحدثت نوعاً من التشتت.. الخ، الخ همست قائلة: -إذاً، هكذا!

-نعم..ها أنت قد أصبحت مشهورة يا عزيزتي "الريشة السريعة" .

قال "التمساح الشجاع" ذلك، وقبّلها .

قالت الريشة السريعة: وهي تنتزع نفسها من قبلة صديقها:

-هيه! أنظر من الذي جاء من المخزن:

-السيدة "بلوشون"! دائماً في الوقت غير المناسب! .

-أوه! لا تكن خبيثاً! ما رأيك لو ذهبنا وسلّمنا عليها؟ كانت السيدة "بلوشون" تدفع عربتها بين صفوف صناديق الفاكهة والخضار. فأحاطا بها وتحدثا معها، ورافقاها حتى مخرج المخزن.

لقد كان من الصعب عليها، بيدها المعصوبة والمربوطة إلى رقبتها، أن تحمل أكياس المشروبات، فابتهجت بقدوم الأولاد.

وحملا لها أغراضها حتى منزلها. كانت البناية التي تسكن فيها تقع على زاوية شارع "جول فيري".

قالت لهما على عتبة دارها:

-شكراً، يا هنودي".

قال التمساح الشجاع: -لكن هذا شيء بسيط، وطبيعي تماماً أن نساعدك

-طبيعي، ولكن لطيف جداً، خذا، سوف أقدم لكما شيئاً بسيطاً.

وأخرجت من حقيبتها مصاصتين، وناولت واحدة لكل منهما.

-أوه! شكراً يا سيدتي!

كانا سعيدين، وضحكت وهي تنظر إليهما

قالت "الريشة السريعة" وهي تقرأ اللوحة عند زاوية الشارع، إذاً،

هكذا، أنتِ تسكنين في شارع "جول فيري"

قالت المعلمة -نعم.

-ومن كان هذا، "جول فيري"؟ سأل التمساح الشجاع، وهو شارد الذهن.

قالت المعلمة -"جول فيري! ولكن.. إنكما مدينان لهذا الرجل بالذهاب إلى المدرسة بحريّة، كل يوم، يا أصدقائي الأعزاء! إلى اللقاء أيها الأفّاقون!

أدارت لهما ظهرها، واختفت في البناية، فانفجر التمساح "الشجاع" و"الريشة السريعة" ضاحكين، وذهبا لملاقاة أصدقائهما في غابة "سان أناتول". بينما كانت اليمامة تتبعهما وهي تتنقل من غصن إلى آخر، وتسهر عليهما.

---

*(جول فيري: محام ورجل دولة فرنسي ارتبط اسمه بمجموعة شرائع مدرسية.)

□□□



رقم الإيداع في مكتبة الأسد - الوطنية

هنود شارع جول فيري :.رواية للفتيان/ ترجمة:وفاء شوكت- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩- ٨٨ص؛ ٢٠ سم

١- ٨٤٣ ف ش و ك ه   ٢-العنوان

٣ - شوكت

ع -١٧٢٧/١٠/١٩٩٩   مكتبة الأسد



هـذا الكـتاب

رؤية للفتيان مترجمة عن اللغة الفرنسية، تعتمد على التشويق والخيال والحلم في بنيتها الفنية، وتعد إسهاماً رائعاً في تنمية رغبة القراءة لدى الأطفال، وتعتبر مصدراً غنياً للحكايا بحيث تسدّ فراغاً لابأس به في المكتبة العربية.

الرواية رائعة من حيث البنية، والهدف، والسرد، والتسلسل، والقدرة على إثارة خيال الأطفال...

□□□

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق

ثمن النسخة ١٠٠ ل.س في القطر
١٢٥ ل.س في أقطار الوطن العربي